

خطب المنبر الفكرية

خطب فكرية مخصصة لتبصير المجتمع
وتحصينه من الشبهات والأفكار الضالة

إشراف
وحدة التوعية الفكرية بجامعة الملك فيصل

تقديم
معالي رئيس جامعة الملك فيصل
محمد بن عبدالعزيز العوهلي



وحدة التوعية الفكرية بجامعة الملك فيصل، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القضيب، عبدالعزيز مبارك

خطب المنبر الفكرية. / عبدالعزيز مبارك القضيب؛

عبدالله محمد السماعيل؛ إبراهيم عبدالرحمن

الجندان. - الهفوف، ١٤٤٠ هـ. ص. : .سم

ردمك: ٨ - ٩٣٥٦ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الخطب الدينية ٢ - خطبة الجمعة أ. السماعيل ، عبدالله محمد

(مؤلف مشارك) ب. الجندان، إبراهيم عبدالرحمن (مؤلف مشارك)

ج. العنوان

١٤٤٠/٤٨١٧

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٤٨١٧

ردمك: ٨ - ٩٣٥٦ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

(١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م)

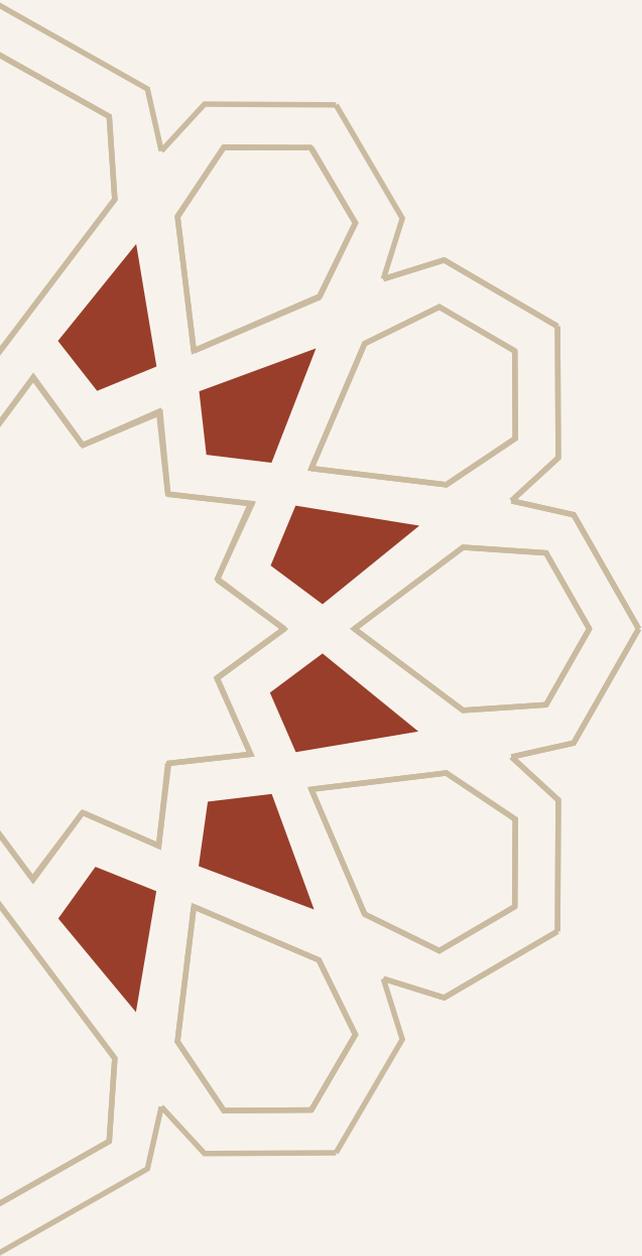
مطبعة - جامعة الملك فيصل

المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية - الأحساء

جامعة الملك فيصل - وحدة التوعية الفكرية

البريد الإلكتروني:

FeKriah@Kfu.edu.sa



سنة ١٤٤٤
١٤٤٤
١٤٤٤
١٤٤٤



خطب المنبر الفكرية

خطب فكرية مخصصة لتبصير المجتمع
وتحصينه من الشبهات والأفكار الضالة



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الأمن والاطمئنان على سلامة الفكر وصحة الاعتقاد مطلب شرعي ووطني، وحاجة نفسية واجتماعية تتوافر لتحقيقها الجهود الشرعية والتعليمية والتربوية.

وولاية الأمر في هذه البلاد المباركة بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين - حفظهم الله - أوصوا في أكثر من محفل بضرورة ترسيخ الوعي الفكري في المجتمع، واعتبروه ركيزة أساسية من ركائز الأمن الشامل المؤدي لتماسك المجتمع وسلامته من الفكر الضال الغالي والجافي، والأنشطة الإرهابية؛ إيماناً منهم بأن الحل الأمني بمفرده غير كاف في معالجة ظواهر الانحراف الفكري، بل لابد من تعزيز المعالجة الفكرية المتمثلة في دور العلماء والخطباء والمؤسسات التعليمية والثقافية والشبابية، ولذلك هيأت المملكة العربية السعودية بقيادة الرشيدة المراكز الفكرية، والبرامج التوعوية.

وكان نصيب الجامعات والمؤسسات التعليمية إنشاء وحدات التوعية الفكرية؛ لتعمل بالتضافر مع كافة القطاعات المعنية على توعية المجتمع وصد الفكر المنحرف المتسلل عبر مواقع الإنترنت والقنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي، ولا شك أن هذا الحرص منهم يفيض بالأمن والاستقرار على شعور المواطن والمقيم في هذه البلاد المباركة.

ويغلب عادة ملاحظة أن الجهود الوطنية ينصب تركيزها في معالجة الانحراف الفكري نحو طبقة مبتلاة بالخلل، ويُغفل عن وقاية شرائح المجتمع المختلفة وتبصيرها من المزالق الفكرية والدعوات المشبوهة، ولا يخفى أن خطبة الجمعة موجهة لأفراد المجتمع من مختلف الأعمار والأفهام والمستويات العلمية، كما أن لها أهمية عظيمة في توجيه المجتمع المسلم في جميع ميادين الحياة بما يُرجى منه تحقيق المصالح الدينية والدنيوية؛ فجاء هذا الإصدار الذي أعده وأشرف عليه الزملاء في وحدة التوعية الفكرية بالجامعة، وعملوا فيه من خلال منظومة متكاملة للحصانة الفكرية تتكون من أكاديميين مختصين في العلوم الشرعية واللغوية والتربوية والاجتماعية من منسوبي الجامعة، وأبرزوا بعملهم محاسن ديننا الحنيف، ووسطيته، ودعوته لاستقامة السلوك إسهاماً منهم في تحصين المجتمع ووقايته؛ فجزاهم الله خير الجزاء.

وإذ أسعد بهذا الجهد المبارك لأهنتهم على إنجازهم العلمي المتميز في موضوعه ومضمونه وأسلوبه، وأرجو من الله العلي القدير أن تتحقق الاستفادة من الخطب التي بين دفتيه، وأن يتلقاه الخطباء والدعاة في وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالاعتناء والقبول.

حفظ الله بلادنا وقادتنا ومجتمعنا من كيد الكائدين؛ وشر المتربّسين والمرجفين؛ إنه تعالى سميع مجيب.

د. محمد بن عبدالعزيز العوهلي
رئيس جامعة الملك فيصل



الحمدُ للهِ والصَّلَاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ نبيِّنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ ومَنْ وَآلهِ.

لخطبة الجمعة منزلة في الشريعة، وأثرٌ بالغٌ في نفوس المؤمنين، فهي تمثل الذكر والوعظ الأسبوعي المنتظم الذي يستمر وجوده، ويكثر شهوده، ويلزم سائر المكلفين.

واستشعاراً من وحدة التوعية الفكرية بجامعة الملك فيصل لهذا الدور، وأساقفاً مع رسالتها في صيانة العقل، وحماية الفكر، ورعاية أخلاق الناشئة فقد ندبت مجموعة من العلماء لوضع نماذج من خطب الجمعة التي تؤصل لهذا الاتجاه، وتسعى لتحقيق هذا الغرض، وتكون أمثلة تحتذى وسبيلاً يقتضى لإخوانهم ولمن جاء بعدهم من الخطباء والمصلحين.

ومما يميّز هؤلاء الأساتذة أنهم متخصصون في الشريعة من قسَمي الدراسات الإسلامية والدراسات القرآنية بجامعة الملك فيصل يمثلون فنونا عدّة.

فمنهم المتخصص في التفسير وعلوم القرآن، ومنهم المتخصص في الفقه وأصوله، ومنهم المتخصص في العقيدة والأخلاق الإسلامية.

كما أنّ جميعهم ممن له قَدَمٌ في الخطابة والإمامة، والبُصر بأحوال الناس وقضاياهم، ومعالجتها فتراتٍ طويلة.

ومع ما قد رُوِيَ في وضع هذه المجموعة المباركة من الشروط والضوابط الشرعية المُعتبرة عند أهل العلم في خطبتي الجمعة؛ فإنها كذلك قد أخذت حظها من العناية الكاملة في جوانب عدّة لتصيب مواقعها من حياة الناس وحاجاتهم، وليتحقق تمام النفع بها.

بدأ ذلك في اختيار موضوعاتها الجامعة التي تتنظم كثيراً من مصالح العباد وترعى شؤونهم، كحفظ الدين، ولزوم جماعة المسلمين، والسمع والطاعة مع حفظ العهد لوليّ الأمر، وتحصين الشباب، وصيانة الفكر، والتعايش السلمي، ونبذ التحزبات، وحفظ الأمن، وانتهاج الوسطية والاعتدال، وغير ذلك من العواصم التي تكون سبباً في سلامة الأوطان، واستقرار العيش، ونهوض العُمران.

كما بدت تلك العناية في اختيار الأسلوب الذي بُيئت عليه هذه المجموعة، فقد جاء سهلاً موطاً لجميع فئات الناس، بحيث لا يعلو على أفهامهم، ولا يقصُر دون رغباتهم، ويُلامس إدراك عوامهم.

وهو مع ذلك قد صيغ في عبارة محمولة على التشويق، محفوفة بالبشارة والندارة، بعيدة عن التهييج والإثارة.

وسعيًا من وحدة التوعية الفكرية إلى استكمال وجوه النفع؛ فقد عمدت بعد الفراغ من جمع هذه الخطب إلى عرضها على أكاديمي تربوي متخصص في التوجيه والإرشاد النفسي، وآخر متخصص في علم الاجتماع؛ لتحكيمها وتقويمها، واستدراك ما قد يعوزها في هذه الحقول العلمية من الأصول والأساليب، والطرائق الناجعة التي تُدني ثمارها، وتحقق آثارها بإذن الله تعالى.

كل ذلك قد جرى تحت سماع وبصر لجنة علمية دقيقة، ألفتها الوحدة لمثل هذا الغرض النبيل، والقصد الشريف، حيث رعتها منذ نشوئها إلى أن بدت بصورتها الحالية.

هذا وإن وحدة التوعية الفكرية بجامعة الملك فيصل إذ تقدم هذه المجموعة الجليلة من خطب المنبر لترجو الله العلي العظيم أن تكون استمراراً لأعمال طيبة يتتابع إنجازها، ويتعاضم نفعها على أهل وطننا الغالي ومن حل به بيمته وكرمه.

كما تسأله سبحانه أن يجزي كل من أسهم في وضعها، ومراجعتها وإخراجها الجزاء الأوفى، والعطاء الأسنى، إنه أهل ذلك والقادر عليه.

وصلّى الله على نبيّنا محمدٍ وآله وصحبه وسلّم،،،

فريق العمل

(١) مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْحَزْبِيَّاتِ

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ.

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ: فَقَدْ كَانَتِ الْحَزْبِيَّةُ فِي الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ تَقُومُ عَلَى النِّظَامِ الْقَبَلِيِّ، وَالْعَصْبِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ، وَوَحْدَةِ الدَّمِ، وَكَانَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ عِبَارَةً عَنْ حَزْبٍ مِنَ الْأَحْزَابِ، وَالْحَزْبُ الْأُمُّ لِهَذِهِ التَّجْمُعَاتِ الْقَبَلِيَّةِ هُوَ قُرَيْشٌ؛ فِجَاءَ الْإِسْلَامِ، وَحَثَّ عَلَى الْاجْتِمَاعِ وَأَخُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَقَامَتِ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ تَحْتَ لُؤَاءِ الْإِسْلَامِ، عَلَيْهِ يُعْقَدُ الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ تَحْتَ سُلْطَةِ شَرْعِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تُعْقَدُ لَهَا الْبَيْعَةُ، وَيُدَانُ لَهَا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَنَهِجٍ وَاحِدٍ وَجَمَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا جَمَاعَاتٍ وَلَا حَزْبِيَّةٍ.

وَاسْتَمَرَ هَذَا الْحَالُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أُمَّةً وَاحِدَةً حَتَّى نَهَايَةَ عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَمَا قُتِلَ سَنَةَ ((٢٣هـ))، ثُمَّ ظَهَرَتِ الْجَمَاعَاتُ وَالْفِرَقُ الَّتِي كَانَتْ مُؤَدَّاهَا مَقْتَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْقَسَمَ النَّاسُ بَعْدَهُ إِلَى قِسْمَيْنِ حَتَّى قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ((٤٠هـ))، ثُمَّ ظَهَرَتِ الْفِرَقُ الضَّالَّةُ، وَمِنْ أَشَدِّهَا خَطَرًا فِرْقَةُ ((الْخَوَارِجِ))، وَتَشَعَّبَتْ بَعْدَهَا كُلُّ فِرْقَةٍ إِلَى فِرَقٍ وَأَحْزَابٍ كَثِيرَةٍ؛ وَهَذَا مِصْدَاقُ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: ((افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً))، قِيلَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: ((مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))؛ وَيَبَعْضُ الرِّوَايَاتِ: ((هِيَ الْجَمَاعَةُ)) ١.

قال الشاطبي رحمه الله: ثم استمرّ تزايد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ، ومن بعد موته، وأكثر قرن الصحابة إلى أن نبعت فيهم نوابغ الخروج عن السنة، وأصغوا إلى البدع المضلة ٢.

وهذه الفرق، والأحزاب، والجماعات، والمذاهب تساقطت أمام جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة لأنهم ليس لهم شخص ينتمون إليه سوى رسول الله .

ولما ظهرت هذه الفرق والأحزاب أصبح لجماعة المسلمين الألقاب تميزهم عن غيرهم من الفرق والجماعات والمذاهب؛ ومن تلك الألقاب: ((الفرقة الناجية))، و((الطائفة المنصورة))، و((أهل السنة والجماعة)).

وهذه الألقاب الشريفة تخالف أي لقب كان لأي فرقة، أو مذهب، أو جماعة كانت من وجوه:

((١)) أنها نسب لم تفصل ولا لحظة عن الأمة الإسلامية منذ تكوينها على منهاج النبوة؛ فهذه الألقاب تحوي جميع المسلمين على طريقة الصحابة ومن اقتدى بهم إلى آخر حياة النبي ﷺ؛ ((لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)) ٣.

((٢)) أن هذه الألقاب تحوي كل الإسلام: الكتاب والسنة؛ فهي لا تختص برسم يخالفهما زيادة أو نقصاً.

((٣)) أن عقد الولاء والبراء لديهم على الإسلام فقط، لا على رسم معين؛ إنما هو الكتاب والسنة.

((٤)) أن هذه الألقاب لم تكن داعية لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ؛ فعندهم أن كل شخص يؤخذ قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ؛ فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقته كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة. كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك. كان من أهل البدع والضلال والتفرق.

وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن يكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة الذين ليس لهم متبوع يعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأتمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباع لها تصديقاً، وعملاً، وحباً، وموالاة لمن والأها، ومعادة لمن عادها ٤.

٢ ((الاعتصام)) ١/٧١-٨١.

٣ متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: 3641، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 1037.

٤ ((الفتاوى)) ٣/٣٤٦-٣٤٧.

وَتَعَدُّ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَحْزَابِ الْيَوْمَ ظَاهِرَةً مَرْضِيَّةً، وَلَيْسَتْ صِحِّيَّةً لِأَنَّهَا تَفَرِّقُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَمَزِقُ وَحَدَّتْهُمْ، وَتَدْفَعُ الْعَدُوَّ لِاسْتِبَاحَةِ دِمَائِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ مَا أَوْجَبَ فِتْنَةً وَفِرْقَةً فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ؛ سِوَاءَ كَانَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا ٥.

وَيَقُولُ الْعَلَّامَةُ صَالِحُ الْفُوزَانِ حَفَظَهُ اللَّهُ: وَجَبَ عَلَى كُلِّ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَبَصِيرَةٌ أَنْ يُبَيِّنَ خَطَرَ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَحْزَابِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى السَّاحَةِ بِاسْمِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ وَكَثِيرٌ مِنْ أَفْرَادِهَا لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ ٦.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ التَّحْزُبِ الْمَذْمُومِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ سِوَاءَ كَانَ هَذَا التَّحْزُبُ لِمَجَاعَةٍ، أَوْ طَائِفَةٍ، أَوْ قَبِيلَةٍ، أَوْ شَيْخٍ، وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الْمُوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ عَلَيْهِ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَظِيمًا لِشَأْنِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الدَّاعِيَ إِلَى رِضْوَانِهِ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَإِخْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ: فَقَدْ جَاءَتْ آيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى وُجُوبِ الِاعْتِصَامِ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُحَذَّرَةٌ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالتَّحْزَبِ الْمَذْمُومِ؛ وَمِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ:

قَوْلُهُ ﷺ: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: ١٠٢].

وقَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [آل عمران: ١٠٥].

وقَوْلُهُ ﷺ: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» [الشورى: ١٣].

وقَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» [الروم: ٣١-٣٢].

وَمِنْ الْأَحَادِيثِ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: ((وَسَتَفْتَرُقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً))، قِيلَ: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: ((مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))؛ وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: ((هِيَ الْجَمَاعَةُ))^٧.

وَفِي حَدِيثٍ حُدِثَتْهُ ﷺ قَوْلُهُ ﷺ: ((فَاعْتَرَلُ الضَّرْقُ كُلُّهَا))^٨؛ وَقَدْ اتَّفَقَ شُرَاحُ الْحَدِيثِ. كَابْنُ حَجْرٍ، وَالْعَيْنِيُّ، وَالْكَرْمَانِيُّ، وَغَيْرُهُمْ. عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَمَا قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَتَى لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ إِمَامٌ فَافْتَرَقُوا أَحْزَابًا، فَلَا يَتَّبِعُ أَحَدًا فِي الْفِرْقَةِ، وَيَعْتَزِلُ الْجَمِيعَ إِنْ اسْتَطَاعَ ذَلِكَ؛ خَشْيَةً مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشَّرِّ^٩.

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: يَا لِلْأَنْصَارِ! وَالْمُهَاجِرِيُّ قَالَ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ، مَا بِال دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ))^{١٠}.

٧ أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: ٣٩٩٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم: ٣٩٨٢.

٨ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 3606، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 1847.

٩ ((فَتْحُ الْبَارِيِّ)) ١٣/٣٩-٤٠.

١٠ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 4905، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 2584.

أَمَّا الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ تَجَاهَ تِلْكَ الْجَمَاعَاتِ وَالْتَحَزُّبَاتِ فَأَنْ يَلْزِمَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))، وَأَنْ يَلْزِمَ مَنْهَجَ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً، وَأَنْ يَلْزِمَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِلْحَاكِمِ الْمُسْلِمِ فِي أَيِّ بَلَدٍ، وَأَنْ يَلْتَزِمَ بِالْأَنْظُمَةِ الْمَعْمُولِ بِهَا فِي الْبَلَدِ الَّذِي يَزُورُهُ؛ أَوْ يُقِيمُ فِيهِ لِلدِّرَاسَةِ؛ أَوْ الْعَمَلِ؛ أَوْ السِّيَاحَةِ، وَأَنْ يَدْعُوَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ الصَّافِي مِنَ الشُّوَابِ وَالشُّبُهَاتِ.

اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ، وَاجْمَعْ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدْ صَفْهَمَ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ، وَجَنِّبِهِمُ الْفُرْقَةَ وَالشَّقَاقَ.

اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنَّا وَعَنْ بِلَادِنَا مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ؛ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا لِهَيْدَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِلَادَنَا، وَمُقَدَّسَاتِنَا، وَوُلَاتِنَا، وَعُلَمَاءَنَا، وَشَبَابَنَا، وَأَعْرَاضَنَا بِسُوءٍ فَاشْغَلْهُ فِي نَفْسِهِ، وَرُدِّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ تَدْبِيرَهُ تَدْمِيرًا لَهُ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشَّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ فِي الْعَالَمِينَ إِسْكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

الرَّخْبَةُ الْأُولَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؛ فَمَنْ أَنْفَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْعَمَلَ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الْجَزَاءَ فِي الدَّارَيْنِ.
وَأَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كَثَرَ خَيْرُهُ، وَعَمَّ إِحْسَانُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْشَدَ أُمَّتَهُ إِلَى الْإِلْتِمَاءِ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، فَقَالَ ﷺ: ((تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.

يَقُولُ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ١٠٢].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ لِلَّهِ حَكْمَةً بِالْغَةِ فِيمَا يَقْضِي وَيُقَدِّرُ، وَحِكْمَتُهُ لَا تَقْتَضِي أَنْ كُلَّ مَنْ قَالَ: أَنَا مُؤْمِنٌ، وَادَّعَى لِنَفْسِهِ الْإِيمَانَ أَنْ يَبْقَى فِي حَالَةٍ يَسْلَمُ فِيهَا مِنَ الْفِتَنِ وَالْمِحَنِ، وَلَا يَعْزِضُ لَهُ مَا يَشُوْشُ عَلَيْهِ إِيْمَانَهُ وَقُرُوعَهُ.

يَقُولُ ﷺ: «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» [العنكبوت: ١].

إِنَّهُ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمْ يَتَمَيَّزِ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْمُحَقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ٢].

سُنَّتُهُ وَعَادَتُهُ فِي الْأَوَّلِينَ، وَفِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَتَّبِعَهُمُ بِالسَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَالغِنَى وَالْفَقْرَ، وَإِدَالَةَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لِتَمَيَّزِ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ ١٢.

رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يَصْلُحُ خِبَاءَهُ ١٣، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ ١٤، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشْرِهِ ١٥؛ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جَعَلَ عَافِيئَهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرْفِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا،

١١ أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 2867.

١٢ انظر: ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان))، ص (626)).

١٣ أحد نبوت العرب من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر. ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) ٩/٢.

١٤ من النضال، وهو الرمي بالسهم. ((كشف المشكل من حديث الصحیحين)) ١٢٣/٤.

١٥ الجشر: أن يخرج القوم دوابهم من المنازل يزعونها. ((كشف المشكل من حديث الصحیحين))

وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحُحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مِنْيْتَهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ))^{١٦}. الْحَدِيثُ.

وَقَالَ ﷺ: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَنَّا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا، وَيَمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))^{١٧}.

أَمَا تَرَوْنَ كَيْفَ كَثُرَتِ الْفِتْنُ فِي هَذَا الزَّمَانِ حَتَّى عَمَّتْ وَتَوَعَّتْ، وَحَتَّى أَصْبَحَ الْمُسْلِمُ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، كَيْفَ يُوَاجِهُ هَذِهِ الْفِتْنَ؟ وَكَيْفَ يَنْجُو مِنْهَا؟ وَكَيْفَ يَسْلَمَ لَهُ دِينُهُ؟

فِتْنٌ فِي الْمَالِ وَالنِّسَاءِ، وَفِتْنٌ فِي الْمَفَاهِيمِ وَالْأَفْكَارِ، وَفِتْنٌ فِي التَّحْزِيبَاتِ وَالصَّرَاعَاتِ وَالتَّكْفِيرِ، وَالْقَتْلِ وَالتَّفْجِيرِ، وَفِتْنٌ الْقَنَوَاتِ الْفَضَائِلِ الَّتِي لَا يَكَادُ يَخْلُو مِنْهَا مَنْزِلٌ، وَفِتْنٌ الْجَوَالَاتِ وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَفِتْنٌ الْإِنْتَرْنِتِ وَالسَّفْرِ... إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَحِيرُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسِنَّةِ رَسُولِهِ إِرْشَادًا إِلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يَنْجُو بِهَا الْمُسْلِمُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ:

((١)) أَوْلَاهَا وَأَسَاسُهَا وَأَعْظَمُهَا: تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ: وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ الْمَطْلُوقِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي الْكُونِ شَيْءٌ - دَقٌّ أَوْ جَلٌّ، كَبِيرٌ أَوْ صَغِيرٌ - إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ.

قَالَ ﷺ: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [التوبة: ٥١].

((٢)) الْأَعْتَصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: فَإِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ الصَّحِيحَةَ هُمَا الْمَصْدَرُ الْأَسَاسُ لِلْحَقِّ، وَبِالْإِعْرَاضِ وَالصَّدِّ عَنْهُمَا تَقَعُ الْفِتْنُ، وَتَحُلُّ الرِّزَايَا وَالْمِحْنُ.

يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: ١٠٣].

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي بدينِكَ وَسُنَّةِ نبيِّكَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي الْحَقِّ، وَمِنَ اتِّبَاعِ الْهَوَى، وَمِنَ سُبُلِ الضَّلَالِ، وَمِنَ شُبُهَاتِ الْأُمُورِ، وَمِنَ الرِّبْحِ وَالْخُصُومَاتِ.

((٣)) الْحِرْصُ عَلَى الْإِكْتِنَارِ مِنَ الْعِبَادَاتِ زَمَنِ الْفِتَنِ: وَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ فَضِيلَ الْعِبَادَةِ أَيَّامَ الْهَرَجِ وَالْقَتْلِ وَالاخْتِلَافِ الْأُمُورِ، فَقَالَ ﷺ: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ))^{١٨}؛ فَجَعَلَ لَزُومَ الْعِبَادَةِ فِي الْهَرَجِ الَّذِي هُوَ الْقَتْلُ - كَهَجْرَةِ إِلَيْهِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى دِينِهِمْ، فَيَكُونُ حَالُهُمْ شَبِيهًا بِحَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِذَا انْفَرَدَ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِدِينِهِ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَتَّبِعُ مَرَاضِيهِ، وَيَجْتَنِبُ مَسَاطِئَهُ، كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ هَاجَرَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُؤْمِنًا بِهِ، مُتَّبِعًا لِأَوَامِرِهِ، مُجْتَنِبًا لِنَوَاهِيهِ^{١٩}.

١٦ أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 1844.

١٧ أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 1118.

١٨ أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 2948.

١٩ ((لطائف المعارف))، ص (132).

قَالَ الْفَرَطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ فِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْفِتْنَ وَالْمَشَقَّةَ الْبَالِغَةَ سَتَقَعُ حَتَّى يَخْفَأَ أَمْرُ الدِّينِ، وَيَقْلُ الْعِتَاءُ بِأَمْرِهِ، وَلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ اعْتِنَاءٌ إِلَّا بِأَمْرِ دُنْيَاهُ، وَمَعَاشِهِ نَفْسِهِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَمِنْ ثَمَّ عَظُمَ قَدْرُ الْعِبَادَةِ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ ٢٠. اهـ.

وَلِهَذَا فَرَّقَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بَيْنَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، فَقَالَ ﷺ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي وَقْتِ خَوْفٍ وَقَلَّةٍ، بِخِلَافِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ الْفَتْحِ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا مَوْعُودِينَ بِالْحُسْنَى إِلَّا أَنَّهُمْ أَنْفَقُوا وَقَاتَلُوا بَعْدَ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَقُوَّةِ أَهْلِهِ.

((٤)) الْاهْتِمَامُ بِالْعِلْمِ: وَالْإِتِّفَافُ حَوْلَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ لِمَعْرِفَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالْفِتَنِ؛ فَإِنَّ التَّعَامُلَ مَعَ الْفِتَنِ يَحْتَاجُ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَمَنْ أَبْتَعَدَ عَنِ نُورِ الْعِلْمِ تَحَبَّطَ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ الْفِتَنِ حَتَّى يَهْلِكَ.

وَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ الْفِتْنَ بِقَطْعِ اللَّيْلِ، وَلَيْسَ أَيُّ لَيْلٍ بَلَّ اللَّيْلَ الْمُظْلَمَ الَّذِي لَا قَمَرَ فِيهِ وَلَا ضِيَاءً؛ فَالْسَّارِي فِيهِ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا يُبْصِرُ بِهِ مَوَاقِعَ قَدَمِهِ، وَمَجَاهِلَ طَرِيقِهِ، وَهُوَ فِي حَالِ الْفِتَنِ؛ الْعِلْمُ؛ فَإِنَّهُ كَاشِفٌ لَهَا، مُبَيِّنٌ لِحَالِهَا وَأَهْلِهَا، وَكَلِمَا زَادَ عِلْمُ الْإِنْسَانِ بَرِّهَ وَدِينَهُ زَادَتْ بَصِيرَتُهُ وَأَطْمَأَنَّ قَلْبُهُ.

قَالَ حُدَيْفَةُ رضي الله عنه: لَا تَضُرُّكَ الْفِتْنَةُ مَا عَرَفْتَ دِينَكَ؛ إِنَّمَا الْفِتْنَةُ إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ٢١.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ نُورُ النُّبُوَّةِ وَقَعُوا فِي ظُلْمَةِ الْفِتَنِ، وَحَدَّثَتْ الْبِدْعُ وَالْفُجُورُ، وَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ ٢٢.

قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ إِذَا أَقْبَلَتْ عَرَفَهَا كُلُّ عَالِمٍ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا كُلُّ جَاهِلٍ ٢٣.

((٥)) لُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ: كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ فِي حَدِيثِ حُدَيْفَةَ الطَّوِيلِ؛ وَفِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَهُ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَقَالَ رضي الله عنه: فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكْتَنِي ذَلِكَ؟

قَالَ رضي الله عنه: ((تَلَزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)).

فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟

قَالَ رضي الله عنه: ((فَاعْتَرَلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنَّ تَعْضُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)) ٢٤.

(فَتْحُ الْبَارِيِّ)، لابن حجر، 13/75.

٢٠ ((مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ)) بِرَقْمِ: (37292).

٢١ ((مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى)) 17/310.

٢٢ ((الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى)) 7/122.

٢٣ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمِ: 3606، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمِ: ١٨٤٧.

وَرَدَّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ: عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّهُمَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنْ مَا تَكَرَّهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفِرْقَةِ ٢٥.

((٦)) التَّحَلِّي بِالصَّبْرِ وَالْمُصَابِرَةِ:

يَقُولُ رحمته: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَعَمَلْتُ فَلَانًا وَلَمْ تَسْتَعْمِلْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثْرَةً؛ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي))^{٢٦}.

((٧)) اجْتِنَابُ الْفِتَنِ، وَالْبُعْدُ عَنْهَا وَعَنِ الْخَوْضِ فِيهَا:

يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ: الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا))^{٢٧}.

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: ((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ؛ يَضُرُّ بَدِينَهُ مِنَ الْفِتَنِ))^{٢٨}.

((٨)) الْحَذَرُ مِنَ النِّفَاقِ وَأَهْلِهِ: وَخَاصَّةً فِي أَوْقَاتِ الْفِتَنِ الَّتِي تَرْدَادُ فِيهَا شَوْكَتُهُمْ، وَتَكَثُرُ فِتْنَتُهُمْ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

٢٥ المَعْجَمُ الْكَبِيرُ، الطَّبْرَانِي، بِرَقْم: ((٨٩٧٢)).
 ٢٦ أخرج البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْم: 3792.
 ٢٧ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْم: 3602، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بِرَقْم: ٢٨٨٦.
 ٢٨ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْم: 19.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى.
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ١٠٢].
«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» [الطلاق: ٢].
«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا» [الطلاق: ٤].

عباد الله: عند الفتن تطيش العقول، وتجتار النفوس، فلا تدري ماذا تعمل؛ وفي هذا الموقف يفعل كثير من الناس عن سلاح عظيم كان عدة للأنبياء والصالحين على مر الزمان، ألا وهو الدعاء.

قال عن نبيه نوح عليه السلام: «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرُ* فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ» [القمر: ١٠-١١].

وقال عن نبيه ذي النون عليه السلام: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأنبياء: ٨٧].

على المسلم في زمن الفتن أن يكون راجياً متضرعاً مبتهاً إلى الله؛ فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله قال لهم: ((تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))، قلنا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ٢٩.

كما يجب على المسلم أن يكون واثقاً بالله، متفائلاً، وأن يكون عاملاً طمأنينة، وناشراً أمن في المجتمع، يعلم أن كل شدة فرجها آت، يتوقع الخير، يتسّم للحياة، يحسن الظن بالله الذي بيده مقادير الأمور، ويعلم أن الرحيم سيجعل بعد العسر يسراً، وبعد الضيق فرجاً، وبعد الحزن سروراً.

وقد بشر رسول الله ببشريات تزيب كل يأس، وتدفع كل قنوط، ونثبت كل صاحب محنة، وتريح قلب كل فاقد للأمل، فقال: ((بشر هذه الأمة بالسنة ٣، والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض)) ٣١.

ثم صلوا رحمكم الله على نبيكم كما أمركم بذلك ربكم في كتابه فقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٥٦].
اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأعل كلمة الدين، وأنصر عبادك الموحدين يا قوي يا رب العالمين.

٢٩ أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 2867.

٣٠ أي: بارتفاع المنزلة والقدرة.

٣١ أخرجه أحمد في مسنده، برقم: 21222، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: ٣٥ / ١٤٦.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رِخَاءٍ؛ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.
اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا مَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَجُدْ بِنَاصِيئِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَارْزُقْهُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ
النَّاصِحَةَ، وَجَنِّبْهُ بَطَانَةَ السُّوءِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].
فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.



الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ.

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى؛ تَحَصَّنُوا بِالتَّقْوَى مِنْ عَذَابِ الْمَوْلَى؛ فَبِتَّقْوَاهُ تَنَيْسَرُ الْأُمُورُ، وَيُدْفَعُ كُلُّ شَرٍّ وَمَحْذُورٍ.

قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عِبَادَ اللَّهِ: الْإِسْتِقَامَةُ عَلَى دِينِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الْمَطَالِبِ، وَنَيْلِهَا مِنْ أَشْرَفِ الْمَوَاهِبِ، وَصَحَّةِ الْمُعْتَقَدِ، وَسَلَامَةِ الْفَطْرَةِ هُمَا الْمَلَذَّ الْأَمْنُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْكُرُوبِ وَالْمِحْنِ؛ قَالَ ﷺ: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢].

وَاللَّهُ عَظِيمٌ، وَشَرْعُهُ وَاضِحٌ قَوِيمٌ، لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْمَكَّاسِبِ، وَلَا طَرِيقَ لِلنَّجَاةِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْمَصَائِبِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الدِّينِ، وَالْفِرَارِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ قَالَ ﷺ: «فِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» [الذَّارِيَاتِ: ٥٠].

اللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ عِبَادَ اللَّهِ هُوَ السَّبِيلُ عِنْدَ طُوفَانِ الْفِتَنِ، وَهُوَ الْمَخْرَجُ مِنَ الْكُرُوبِ وَالْمِحْنِ؛ قَالَ ﷺ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» [الطَّلَاقِ: ٢].

وَأَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ هِيَ الْحِصْنُ الْأَعْظَمُ، وَالسِّيَاحُ الْمُحَكَّمُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ، وَفِي الْآخِرَةِ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَمَنْ عَصَى رَبَّهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ انْقَلَبَتْ حَيَاتُهُ شَقَاءً، وَعَاقِبَتُهُ بَلَاءً، وَعِزُّهُ ذَلَالٌ، وَكَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛ قَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» [فاطر: ١٠].

إِنَّ أَصْحَابَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَأَهْلَ الرِّبْغِ وَالْآرَاءِ فِي حَسْرَةٍ وَشَقَاقٍ، وَحَيْرَةٍ وَنِفَاقٍ، رُؤُوسُهُمْ مِنْكَسَةٌ ذَلِيلَةٌ، وَوُجُوهُهُمْ مَسُودَةٌ قَبِيحَةٌ، قَدْ أَحَاطَ بِهِمُ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ، وَلَا زَمَهُمُ الْهَمُّ وَالْخَذْلَانُ، وَأَصَابَهُمُ الْبُؤْسُ وَالشَّقَاءُ؛ وَإِنْ تَظَاهَرُوا بِالْعِزَّةِ وَالْكَبْرِيَاءِ، وَالْأَنْفَةِ وَالْخِيَلَاءِ، فَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَذِلَّ مَنْ عَصَاهُ؛

قَالَ ﷺ: ((وَجُعِلَ الذُّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي))^{٣٣}.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْعِصْمَةَ مِنْ كُلِّ فِكْرٍ دَخِيلٍ، وَالنَّجَاةَ مِنْ كُلِّ رَأْيٍ عَلِيلٍ = إِنَّمَا تَكُونُ بِالرُّجُوعِ إِلَى كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ إِذْ فِيهِ الشِّفَاءُ الْأَكِيدُ، وَالِدَوَاءُ الْمَفِيدُ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ

مَنْ رَبُّكُمْ وَشَفَاءُ مَا فِي الصُّدُورِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿يُونُسُ: ٥٧﴾.

وَقَالَ ﷺ: «وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء: ٨٢].
فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَالْفِرَارَ الْفِرَارَ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِهِ الْأَمِينِ؛ فَفِيهِمَا النَّجَاةُ
وَالْفَلَاحُ، وَالْهُدَايَةُ وَالصَّلَاحُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا صَلَاحَ لِلنُّفُوسِ إِلَّا بِعِبَادَةِ رَبِّهَا، وَلَا حِمَايَةَ لِلْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ إِلَّا بِتَعَلُّمِهَا الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ
الَّذِي يَبِينِي وَلَا يَهْدِمُ، وَيُقَرِّبُ وَلَا يَبْعِدُ، وَيُصْلِحُ وَلَا يُفْسِدُ، يَنْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ، وَالْحَاضِرِ
وَالْمُسْتَقْبَلِ.

وَالْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ الْمُسْتَدُّ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَهْمَ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَفْضَلُ مَا تُصَرِّفُ فِيهِ الْأَوْقَاتُ،
وَأَعْظَمُ مَا تَبْدُلُ فِيهِ الْمُهْجُ وَالسَّاعَاتُ؛ قَالَ: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ» [المجادلة: ١١].

وَالْعِلْمَ مِيرَاثَ النَّبُوَّةِ؛ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ﷺ: ((إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ
الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَأُوْرَثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ))^{٣٣}.
وَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَحْتُونُ عَلَى مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ، قَالَ أَبُو جَحِيْفَةَ ؓ: جَالِسِ الْكِبْرَاءِ، وَخَالِ
الْعُلَمَاءِ، وَخَالِطِ الْحِكَمَاءِ^{٣٤}.

فَالْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ حِصْنَ مَنِيعٍ، وَبِنَاءَ مَتِينٍ يَدْرَأُ عَنِ الْعِبَادِ الشُّرُورَ وَالْفِتْنَ، وَيَحْمِي الْبِلَادَ مِنَ الضَّلَالِ
وَالْمَحْنِ؛ فَهُوَ سِيَاحٌ مَنِيعٌ تَتَمَاسَكَ بِهِ عَرَى الدِّينِ، وَيَحْفَظُ الْعَقَائِدَ مِنَ الانْحِرَافِ، وَيَحْمِي الْأَخْلَاقَ
مِنَ الْانْحِطَاطِ، وَيَصُونُ السُّلُوكَ مِنَ الْاِعْوَجَاجِ.

وَالْعُلَمَاءُ عِبَادَ اللَّهِ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، يُعَلِّمُونَ الْعِبَادَ، وَيَدْعُونَ إِلَى الرَّشَادِ، فِي الْقُرْبِ مِنْهُمْ تَوْفِيقٌ وَسَدَادٌ،
وَفِي الْبُعْدِ عَنْهُمْ مَجَانِبَةٌ لِلصَّوَابِ، أَمَرَ اللَّهُ بِسُؤَالِهِمْ فِيمَا يَجِدُ مِنْ مَسَائِلَ وَقَضَايَا، وَنَوَازِلَ وَفِتَاوَى؛
فَإِجَابَتُهُمْ تَرِيحُ النَّفْسِ، وَتَزِيلُ اللَّبْسِ، وَتُزِيحُ الشُّبُهَاتِ، وَتَمْنَعُ الشَّهَوَاتِ، وَتُقَرِّبُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ؛ قَالَ
ﷺ: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [النحل: ٤٣].

وَمَنْ أُوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَقَدْ اصْطَفَاهُ؛ يَقُولُ ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقَهُهُ فِي
الدِّينِ))^{٣٥}.

فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنْ مَنَابِعِهِ الصَّافِيَةِ، وَمَنَاهِلِهِ الْعَذْبَةِ الصَّافِيَةِ؛ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يُرَى أَثَرُهُ
عَلَى صَاحِبِهِ نُورًا فِي الْوَجْهِ، وَخَشْيَةً فِي الْقَلْبِ، وَاسْتِقَامَةً فِي السُّلُوكِ.

يَقُولُ أَبُو سَيْرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ؛ فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَإِنَّ مِمَّا يَعِصُمُ مِنَ الْانْحِرَافِ وَالْفِتَنِ، وَيَحْمِي مِنَ التَّطَرُّفِ وَالْمَحْنِ = مُصَاحَبَةَ
الْأَخْيَارِ، وَالْبُعْدَ عَنِ رُفَقَاءِ السُّوءِ الْأَشْرَارِ؛ فَالْمَرْءُ يَتَأَثَّرُ بِصَاحِبِهِ وَجَلِيسِهِ، وَيَصْطَلِحُ بِرَفِيقِهِ وَأَنْبِسِهِ؛
يَقُولُ: ((الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ))^{٣٦}.

٣٣ أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: ٨٨، وحسنه شعيب الأرنؤوط، ٢٩٠/١.

٣٤ ((جامع بيان العلم وفضله)) 1/126.

٣٥ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 3116، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 1037.

٣٦ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ، بِرَقْمٍ: ٨٠١5، وَقَالَ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، 14/142.

وَقَدْ ذَلَّ الشَّرْعُ وَالنَّقْلُ، وَالْوَاقِعُ وَالْعَقْلُ عَلَى أَنَّ الْجَلِيسَ الصَّالِحَ لَهُ الْأَثَرُ الطَّيِّبُ الْوَاضِحُ، وَعَلَى أَنَّ الْجَلِيسَ الطَّالِحَ لَهُ الْأَثَرُ الْقَبِيحُ الْفَاضِحُ؛ قَالَ ﷺ: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمُسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمُسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))^{٣٧}.

وَلَا شَكَّ عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيَتَبَايَنُونَ فِي مَقاصِدِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُحِبُّ لِلْخَيْرِ دَالٍ عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُحِبُّ لِلشَّرِّ جَالِبٌ إِلَيْهِ؛ قَالَ ﷺ: ((إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ))^{٣٨}.

فَالرِّمَّ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمَوْفِقُ جُلَسَاءَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَأَهْلَ الْفَضْلِ وَالِإِصْلَاحِ، وَاسْتَفَدَ مِنْ عُلُومِهِمْ، وَتَجَارِبِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَنَا بِنَفْسِكَ عَنْ مُصَاحَبَةِ الْأَشْرَارِ، وَفَرَّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ النَّارِ؛ قَالَ ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

عِبَادَ اللَّهِ: حَيَاةُ الْمُؤْمِنِ الْمُتَمَسِّكِ بِدِينِهِ، وَالْمُعْتَصِمِ بِكِتَابِ رَبِّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ = مَحْفُوفَةٌ بِالْإِتِّبَالِ وَالْفِتَنِ، مُحَاطَةٌ بِالْخَاطِرِ وَالْمِحْنِ، وَتُرْدَادٌ خَطُورَتِهَا، وَيَعْظُمُ ضَرَرُهَا بِالِانْتِفَاحِ الْإِعْلَامِيِّ، وَالتَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ؛ مِمَّا يَسْتَدْعِي ضَرُورَةَ الْعَمَلِ الْجَادِّ الدَّوُوبِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالنُّصْحِ لِلْمُسْلِمِينَ حِمَايَةَ لِعُقُولِهِمْ مِنْ عَوَامِلِ الْهَدْمِ وَالضَّلَالِ، وَصِيَانَةَ لِأَفْكَارِهِمْ مِنْ أَسْبَابِ التَّطَرُّفِ وَالِانْحِلَالِ، وَبِنَاءِ لِشَخْصِيَّةٍ مُسْلِمَةٍ مُتَمَسِّكَةٍ بِكِتَابِ رَبِّهَا، مُتَّبِعَةٍ سُنَّةِ نَبِيِّهَا .

وَإِنَّ الْإِعْلَامَ الْمُعَاوِرَ الْيَوْمَ يَجِبُ الْحَدْرُ مِنْهُ، وَأَخْذُ الْحَيْطَةِ مِمَّا يَعْرِضُ فِيهِ مِنْ أَفْكَارٍ هَادِمَةٍ، وَقَنَوَاتٍ حَاقِدَةٍ تَجْلِبُ الرَّذِيلَةَ، وَتَهْدِمُ الْعَقِيدَةَ، وَتَسْتَهْدِفُ الْكِبَارَ وَالصَّغَارَ، وَالذُّكُورَ وَالْإِنَاتِ، تَوَرَّثَ الشَّرَّ وَالْفُسَادَ، وَتَسَبَّبَ الْفُرْقَةَ وَالْأَحْقَادَ؛ قَالَ ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

٣٧ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 5534، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 2628.

٣٨ أَخْرَجَهُ أَبُو عَاصِمٍ فِي ((السنة))، بِرَقْمٍ: ٢٩٧، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِي فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ، بِرَقْمٍ: ٢٢٢٣.

الرَّحْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ.
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ.
وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى؛ ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١٩].

عِبَادَ اللَّهِ: مِمَّا يَعْصِمُ مِنَ الضَّلَالِ وَالْفِتَنِ، وَيَحْصِنُ مِنَ الشُّرُورِ وَالْمَحَنِ = لُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ
يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَدَّ شَدَّ فِي النَّارِ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبَّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ.
قَالَ ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ))^{٢٩}.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ: فَقَدْ أَمَرَكُمُ الْمَوْلَى بِذَلِكَ فَقَالَ
قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[الْأَحْزَابُ: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ
كَانُوا يَعْدِلُونَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِجُودِكَ
وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلِّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ هَذَا الْبَلَدَ
أَمِنًا مُطْمَئِنًّا رِخَاءً، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إِمَامَنَا لِهَذَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْ جَمِيعَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ
وَتَحْكِيمِ شَرْعِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ مَا قَسَمْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ صِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَسَعَةِ رِزْقٍ فَارْتَبِ لَنَا مِنْهُ أَوْفَرَ
الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ وَبِلَاءٍ وَفِتْنَةٍ فَاصْرِفْهُ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْصِرْهُمْ عَلَى الْعُدُوِّ يَا قَوِيَّ يَا عَظِيمَ يَا عَزِيزَ.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٢٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٠١].

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ عَلَيْكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَأَشْكُرُوهُ عَلَىٰ آيَاتِهِ وَنِعْمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَصْنَعُونَ.

(٤) تَحْصِينُ الشَّبَابِ مِنَ التَّكْفِيرِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ.

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَهَدَى لِّلنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى؛ فَبِتَقْوَى اللَّهِ تَصْلُحِ الْأَعْمَالُ، وَتَسْتَقِيمِ الْأَحْوَالُ، وَتَغْفِرَ الذُّنُوبَ الْعِظَامُ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الشَّبَابُ فِي الْمَجْتَمَعِ رُوحُهُ الْمُتَوَبِّئَةُ، وَدَمُهُ الْمَتَدَفِّقُ، وَشَرِيَانُهُ النَّابِضُ، وَهُمْ فِي الْأُمَّةِ مَحَطُّ الْأَنْظَارِ، وَمَعْقَدُ الْأَمَالِ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ مَكَانَةً كَبْرَى وَمَرْيَّةً عَظْمَى؛ فَمِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَظْلَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ((وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ))^{٤١}.

وَقَدْ جَاءَتْ نُصُوصُ الشَّرِيعَةِ أَمْرَةً بِاعْتِمَادِ زَمَنِ الشَّبَابِ قَبْلَ قَوَاتِ أَوَانِهِ وَتَصَرُّمِ أَيَّامِهِ؛ قَالَ ﷺ: ((اِغْتَنِمْ خُمْسًا قَبْلَ خُمْسٍ))، وَذَكَرَ مِنْهَا: ((وَشَبَابُكَ قَبْلَ هَرَمِكَ))^{٤٢}.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ))^{٤٣}.

عِبَادَ اللَّهِ: فِي صَلَاحِ الشَّبَابِ صَلَاحُ الْأُمَّةِ، وَلَنْ يَسْعَدَ الْمَجْتَمَعُ وَلَنْ يَحْصُلَ لَهُ عِزٌّ وَفَلَاحٌ، وَتَقَدُّمٌ وَنَجَاحٌ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ، وَالتَّاسِّيِ بِسُنَّةِ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ .

وَإِنَّ الشَّبَابَ الْمُسْلِمَ الْيَوْمَ يُوَاجِهُهُ مَكْرًا عَظِيمًا، وَكَيْدًا كَبِيرًا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ الْمُتْرِبِّصِينَ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِالْقَاءِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ لِتَحْرِيفِ عَقِيدَتِهِ، وَطَمَسِ هُوِيَّتِهِ، وَتَغْيِيرِ أَفْكَارِهِ، وَإِفْسَادِ أَخْلَاقِهِ؛ لِذَا يَجِبُ عَلَى الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ كَيْسًا فَطِنًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى تَفْرِيقِ الْأُمَّةِ، وَنَمْزِيقِ شَمْلِهَا، وَطَمَسِ هُوِيَّتِهَا، وَتَحْطِيمِ كِيَانِهَا .

٤٠ أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: 1423.

٤١ أخرجه النسائي في سننه، برقم: 11822، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: 1077.

٤٢ أخرجه الترمذي في سننه، برقم: 2416، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم: 2416.

وَأَنَّ مِنْ عَوَامِلِ الرَّيْغِ وَالضَّلَالِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الْغُلُوِّ وَالْانْجِلَالِ = التَّسْرُعُ فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَإِخْرَاجِ أَصْحَابِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْإِسْلَامِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَاضِحٍ، أَوْ بُرْهَانٍ سَاطِعٍ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ أُمَّتَهُ عَنِ ذَلِكَ، فَحَذَرَهَا أَشَدَّ التَّحْذِيرِ، وَنَهَاها بِأَعْظَمِ الزَّوْجِرِ وَأَشَدِّ الْمَوَاعِظِ؛ فَقَالَ ﷺ: ((إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٍ = فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدَهُمَا))^{٤٣}.

وَقَالَ ﷺ: ((مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ))^{٤٤}.

فَأَمْرُ التَّكْفِيرِ عَظِيمٌ، وَسَوْءُ عَاقِبَتِهِ خَطِيرٌ، وَفِي الْبُعْدِ عَنْهُ سَلَامَةٌ مِنَ الْإِثْمِ وَالرَّزْلِ.

وَأَنَّ فِي التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَالسَّيْرِ عَلَى مَنْهَجِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَفِي الْبُعْدِ عَنِ أَصْحَابِ الْفِكْرِ السَّقِيمِ وَالْفَهْمِ الْمُنْطَرَفِ الْعَقِيمِ = سَبِيلِ السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ، وَالْفَوْزِ وَالنَّجَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالَ ﷺ: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ» [الأنعام: ١٥٣].

فَفَلَاحُ الْأُمَّةِ وَنَجَاتُهَا فِي تَمَسُّكِهَا بِكِتَابِ رَبِّهَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمَسْئُولِينَ وَالْمُرَبِّينَ مُضَاعَفَةَ الْجُهْدِ فِي الْعِنَايَةِ بِالنَّاشِئَةِ، وَتَحْصِينَ أَفْكَارِهِمْ مِنْ عَوَامِلِ الْأَنْحِرَافِ وَالضَّلَالِ، وَمِنْ أَسْبَابِ الرَّيْغِ وَالْانْجِلَالِ؛ وَذَلِكَ بِتَعْلِيمِهِمُ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ الَّذِي هُوَ أَسَاسٌ فِي رُسُوحِ الْأَمْنِ وَالْأَطْمِئْنَانِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِذَا ظَهَرَ الْعِلْمُ فِي بَلَدٍ أَوْ مَحَلَّةٍ قَلَّ الشَّرُّ فِي أَهْلِهَا، وَإِذَا خَفِيَ الْعِلْمُ هُنَاكَ ظَهَرَ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ .

وَأَنَّ فِي مُلَازِمَةِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْعِلْمِ الرَّاسِخِ، وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ، وَالْفَهْمِ الرَّشِيدِ، وَالْفِكْرِ الْمَعْتَدِلِ السَّيِّدِ، وَالْأَخْذِ مِنْهُمْ وَالنَّيْلِ مِنْ عِلْمِهِمْ = ثَبَاتًا عَلَى الْحَقِّ، وَتَحْصِينًا مِنَ الرَّيْغِ وَالضَّلَالِ؛ قَالَ ﷺ: «وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا» [الكهف: ٢٨].

كَمَا أَنَّ تَرْسِيخَ الْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ، وَالتَّرْبِيَةَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَتَقْوِيَةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِ النَّاشِئَةِ = يُحَقِّقُ الشُّعُورَ بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ، وَيُدْفَعُ إِلَى الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَالسَّعَادَةِ وَالْأَطْمِئْنَانِ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [الحديد: ٢٨].

فَالْمَنْهَجُ الْقَوِيمُ وَالسُّلُوكُ الْمُسْتَقِيمُ أَصْلٌ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلِ، وَدِرْعٌ وَاقٍ لِتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ وَالرَّذَائِلِ، وَهُوَ سِيَاحٌ مَنِيحٌ يَحْجُزُ عَنِ فِعْلِ الْمَحْظُورِ وَالْجَرِيمَةِ، وَيَمْنَعُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشَّرِّ وَالرَّذِيلَةِ .

كَمَا أَنَّ عَلَى الْأُسْرَةِ الْمُسْلِمَةِ مَسْئُولِيَّةَ عَظْمَى، وَمَهْمَةً كَبْرَى فِي حِفْظِ عُقُولِ النَّاشِئَةِ، وَتَحْصِينِهِمْ مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ وَالْأَفْهَامِ الْمُضَلَّةِ؛ إِذْ هِيَ الْأَصْلُ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَرْءُ عَقِيدَتَهُ وَخُلُقَهُ، وَالْأَسَاسُ الَّذِي يَسْتَقِي مِنْهُ الْفِرْدُ فَكْرَهُ وَسُلُوكَهُ؛ فَكَانَ لِرِزَامًا عَلَى الْأُسْرَةِ الْقِيَامُ بِدَوْرِهَا مِنْ خِلَالِ تَنْشِئَةِ أَفْرَادِهَا عَلَى الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالْفِكْرِ السَّلِيمِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْأَدْلَةِ الصَّحِيحَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ»

٤٣ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 6104، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 60.

٤٤ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 6105.

[التَّحْرِيم: ٦].

وَمِمَّا بَقِيَ الشَّابُّ الْمُسْلِمَ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُضَلَّةِ وَالْأَفْهَامِ الْمُنْحَرِفَةِ = الْإِلْتِفَافُ حَوْلَ وُلَاةِ أَمْرِهِمْ، وَالتَّكَايُفُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَتِهِمْ، وَتَحْرِيمُ عَصِيَانَتِهِمْ أَوْ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩].

وقال ﷺ: ((مَنْ نَزَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))؛.

فَبِطَاعَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ تَجْتَمِعُ الْكَلِمَةُ، وَتَتَوَحَّدُ الْأُمَّةُ، وَتَتَأَلَّفُ الْقُلُوبُ، وَفِي عَصِيَانِهِ تَفْرِيقٌ لِلْكَلِمَةِ، وَتَشْتَبِهُتِ لِلْأُمَّةِ، وَضِياعٌ لِلْهُوِيَّةِ؛ فَكَمْ جَرَّ الْخُرُوجُ عَلَى الْإِمَامِ مِنْ مَصَائِبٍ عَظْمَى، وَوِيَلَاتٍ كَبْرَى تَجْرَعُ الْمَجْتَمِعُ الْآلَمَهَا وَمَحَنَهَا، وَكَانَ سَبَبَهَا الْعَقَائِدُ الْمَلُوثَةُ، وَالسُّلُوكُ الْمَعُوجُ، وَالْأَخْلَاقُ الْمُنْحَطَّةُ الَّتِي أَنْتَجَتِ الْعَقْلَ الْمُنْحَرِفَ وَالْفِكْرَ الْمَتَطَرِّفَ، فَادْخَلَتِ الْأُمَّةُ فِي الضِّيْقِ وَالْحَرَجِ وَالْعَنْتِ، وَسَبَبَتْ لَهَا الضَّعْفَ وَالْهَوَانَ وَالْفَشْلَ؛ قَالَ ﷺ: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٦].

وَإِنَّ الْعَاقِلَ اللَّيِّبَ لَيَدْرِكُ بِفَهْمِهِ السَّلِيمِ الرَّشِيدِ، وَفِكَرِهِ الصَّحِيحِ السَّدِيدِ = ضَرُورَةَ الْإِلْتِفَافِ حَوْلَ وُلَاةِ أَمْرِهِ، وَتَأْيِيدِهِمْ، وَالنُّصْحَ لَهُمْ، وَالِدُعَاءَ لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالصَّلَاحِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ؛ فَصَلَّاحُهُمْ يَحْصُلُ الْخَيْرَ وَالسَّدَادَ، وَتَحَقُّقُ السَّعَادَةِ وَالرَّشَادِ، وَبِطَاعَتِهِمْ يَسْتَتِبُ الْأَمْنُ، وَتَزْدَهَرُ الْحَيَاةُ، وَيُدْحَرُ الْأَعْدَاءُ، وَيُرَدَعُ الْبُغَاةُ وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة؛ ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعو لهم بالصَّلاحِ وَالْمَعَاوَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ أَعْدَاءَ الْأُمَّةِ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً؛ فَقَدْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وَأَعْلَنُوا حَرْبَهُمْ، وَأَعْمَلُوا جَهْدَهُمْ فِي إِقَاءِ الْفِتَنِ وَالشُّبُهَاتِ، وَتَزْيِينِ الْمُنْكَرِ وَالشَّهَوَاتِ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ الصَّدَّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِعْبَادِ الشَّابِّ عَنِ دِينِ اللَّهِ لِيَكُونُوا فَرِيسَةً لِنَحْقِيقِ مَقَاصِدِهِمُ السَّيِّئَةِ، وَنَيْلِ مَآرِبِهِمُ الْخَبِيثَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَهُمُ بِالْمَرْصَادِ؛ قَالَ ﷺ: «يُرِيدُونَ لِيُظْفِنُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [التوبة: ٣٢].

وَإِنَّ إِشْغَالَ الشَّابِّ بِتَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الدِّينِ = تَضْيِيعٌ لَوْقَتِهِ، وَتَفْوِيتٌ لَزَهْرَةِ عُمَرِهِ؛ فَلَا يَجْنِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ، وَالشَّقَاءَ وَالْخِزْيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ قَالَ ﷺ: «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْرَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» [النساء: ١٢٣].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعَظِيمًا لِسَانِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى؛ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» [التوبة: ١١٩].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ تَسَاهُلَ بَعْضِ النَّاسِ بِأَمْرِ الْإِكْفَارِ؛ وَخَوْضِهِمْ فِيهِ وَتَصَدُّرِهِمْ لَهُ وَهُمْ لَيْسُوا أَهْلَ اخْتِصَاصٍ - وَلَوْ كَانُوا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ - يَهْدِدُ الْبِلَادَ، وَيُخَيِّفُ الْعِبَادَ، وَيُنذِرُ بِحَاضِرِ مُظْلَمٍ، وَمُسْتَقْبَلِ قَاتِمٍ يُؤَدِّي فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ إِلَى آثَارِ أَلِيمَةٍ، وَنَتَائِجِ وَخِيمَةٍ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ.

وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْخَطِيرَ وَالْمُنَزَّلَقَ الْعَظِيمَ لَا يَخُوضُ فِيهِ، وَلَا يَنْجَرُّ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ كَانَتْ بِضَاعَتُهُ فِي الْعِلْمِ مُزْجَاةً، وَبَانَ جَهْلُهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَلَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَةَ مَا تَضَمَّنَتْهُ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْمَحْذَرَةَ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ.

فَكَانَ لِزَامًا عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الرَّجُوعُ إِلَى كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَفَهْمِهِمَا بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ أَوْ تَأْوِيلٍ لِيَحْصُلَ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ فِي حَاضِرِ الْأُمَّةِ وَمُسْتَقْبَلِهَا.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ فَقَدْ أَمَرَكَ الْمَوْلَى بِذَلِكَ فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ هَذَا الْبَلَدَ أَمِنًا مُطْمَئِنًّا رَخَاءً، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إِمَامَنَا لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْ جَمِيعَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ وَتَحْكِيمِ شَرْعِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ مَا قَسَمْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ صِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَسَعَةِ رِزْقٍ فَكَتَبْنَا لَنَا مِنْهُ أَوْفَرَ الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ وَبَلَاءٍ وَفِتْنَةٍ فَاصْرِفْهُ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْصِرْهُمْ عَلَى الْعَدُوِّ يَا قَوِيَّ يَا عَظِيمُ يَا عَزِيزُ.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ آيَاتِهِ وَنِعْمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَصْنَعُونَ.



الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ.

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ تَعَدُّ النِّعَمِ وَتَنَوُّعِهَا، وَمِنْ كَثَرَتِهَا لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ لَهَا إِحْصَاءً وَلَا عَدًّا؛ مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» [النحل: ١٨].

وَمِنْ تِلْكَ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ؛ كَالهَوَاتِفِ، وَالبرامجِ، وَالْمَوَاقِعِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّاسُ فِي الْمَاضِي يُعَانُونَ مِنْ قِلَّةِ التَّوَاصُلِ بَيْنَهُمْ، وَصُعُوبَةِ الْوُصُولِ إِلَى الْمَوَاقِعِ الْمُهِّمَةِ وَالْمُفِيدَةِ لِتَحْصِيلِ الْمَعْلُومَاتِ الضَّرُورِيَّةِ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ، وَالْيَوْمَ لِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ أَصْبَحَتْ الْأُمُورَ أَكْثَرَ تَيْسِيرًا وَعَوْنًا عَلَى ذَلِكَ فِي ظِلِّ وُجُودِ الْوَسَائِلِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَالبرامجِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ؛ وَهَذِهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ اسْتَفْلَهَا الْأَسْتِفْلَالُ الصَّحِيحَ وَالْمُفِيدَ، وَاسْتَعْمَلَهَا فِيمَا يُرِضِي الرَّبَّ الْمَعْبُودَ.

لَقَدْ أَصْبَحَ الْعَالَمُ الْيَوْمَ - بِمَا فِيهِ مِنْ قَارَاتٍ، وَدُولٍ، وَمُدُنٍ - كَالْقَرْيَةِ الصَّغِيرَةِ بِسَبَبِ وُجُودِ شَبَكَاتِ الْإِنْتَرْنِتِ، وَبرامجِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَأَصْبَحَ أَغْلَبُ الْبَشَرِ مِنْ مُخْتَلَفِ الْجَنَسِيَّاتِ - صَغَارًا وَكِبَارًا، ذُكُورًا وَإِنَاثًا - يَسْتَعْمِدُونَهَا، وَيَتَوَاصَلُونَ عَنْ طَرِيقِهَا بِبَسْرٍ وَسَهُولَةٍ مِنْ دُونِ حُدُودِ جُغْرَافِيَّةٍ أَوْ حَوَاجِزِ دَوْلِيَّةٍ.

عِبَادَ اللَّهِ: عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إيجابِيَّاتِ هَذِهِ الْوَسَائِلِ وَالبرامجِ، وَسَهُولَةِ الْحُصُولِ عَلَيْهَا؛ إِلَّا أَنَّ فِيهَا مِنْ السَّلْبِيَّاتِ وَالآثَارِ الضَّارَّةِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ مَا فِيهَا؛ وَمِنْ هَذِهِ الْآثَارِ السَّلْبِيَّةِ الضَّارَّةِ:

((١)) نَشْرُ الْفَسَادِ الْاِعْتِقَادِيِّ، وَالْاِنْحِلَالِ الْأَخْلَاقِيِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ تِلْكَ الْوَسَائِلِ وَأَضْرَارِهَا؛ وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ مَوَاقِعِ مَخْصُوصَةٍ وَضَعَهَا أَعْدَاءُ الدِّينِ لِنَشْرِ الشُّبُهَاتِ، وَالشَّهَوَاتِ، وَالضَّلَالَاتِ، وَالْعَقَائِدِ الْهَدَامَةِ الْمَخَالِفَةِ لِلشَّرِيعَةِ وَتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِبَاحِيَّةِ الَّتِي تُرَوِّجُ لِفَاحِشَةِ الزُّنَا

وَعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، وَالرَّذِيلَةِ، وَمُحَارَبَةِ الْفَضِيلَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

((٢)) نَشَرُ الْأَفْكَارَ الْهَدَامَةَ وَالْمُنْحَرِفَةَ بَيْنَ فِئَاتِ الشَّبَابِ الْمُخْتَلَفَةِ عَنْ طَرِيقِ الْمُنْشُورَاتِ، وَالِدَّعَايَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَالْمَقَاتِعِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْمَرْثِيَّةِ الْحَمَاسِيَّةِ الَّتِي تَدْعُو الشَّبَابَ إِلَى الْأَسْتِجَابَةِ لَهُمْ، وَتَقْلِيدِهِمْ، وَالْأَنْجِدَاعِ بِهِمْ، وَالسَّيْرِ خَلْفَهُمْ عَلَى مَنْهَجِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمْ، وَالتَّرْوِيجِ لِأَفْكَارِهِمُ الضَّالَّةِ وَأَرَائِهِمُ الْمُنْحَرِفَةَ.

وَهَذِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَثَارِ الضَّارَّةِ عَلَى شَبَابِنَا الْيَوْمَ، وَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا هَذَا مِنْ انْتِشَارِ لِلْفِكْرِ الضَّالِّ، وَالْأَرَاءِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَوُقُوعِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْتِدَاءَاتِ عَلَى الْحُرْمَاتِ وَالْأَنْفُسِ الْبَرِيَّةِ، وَهَدْمِ لِلْمَمْلُوكَاتِ، وَتَدْمِيرِ لِلْمُنْشَأَتِ، وَمَا صَاحَبَ ذَلِكَ مِنْ خَرَابٍ وَتَدْمِيرٍ، وَقَتْلٍ وَنَفْجِيرٍ = إِلَّا بِسَبَبِ تَأَثَّرِ شَبَابِنَا الْيَوْمَ بِهَذِهِ الْمَوَاقِعِ الضَّالَّةِ وَالْهَدَامَةِ الَّتِي تَهْدِمُ وَلَا تَبْنِي، وَتُفْسِدُ وَلَا تُصْلِحُ، بَلْ مِنْ وَرَائِهَا شَرٌّ عَظِيمٌ يُرَادُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَدِينِهِ، وَأَهْلِهِ، وَأَخْلَاقِهِ.

((٣)) مَا تَفَعَّلَهُ هَذِهِ الْمَوَاقِعُ مِنْ نَشْرِ لِلشَّائِعَاتِ، وَالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ، وَالنَّشْرَاتِ الْمُسِيئَةِ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ وَالِدُّوْلِ، وَمَا تَسَعَّى فِيهِ تِلْكَ الْمَوَاقِعُ مِنْ تَشْوِيهِ وَنَحْرِيضٍ ضِدَّ الْحُكَّامِ، وَمُحَاوَلَةِ تَأْلِيْبِ النَّاسِ، وَتَهْيِيجِهِمْ ضِدَّ حُكَّامِهِمْ وَوَلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَبِقِيَامِهِمْ بِنَيْتِ الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى زَعْرَعَةِ أَمْنِ الْوَطَنِ، وَتَرْوِيجِهَا؛ لِفَقْدِ ثِقَةِ الْمُجْتَمَعِ بِوَلَاتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، وَالتَّشْكِكِ فِيهِمْ.

((٤)) تَعَلَّقُ الشَّبَابُ بِهَا، وَإِدْمَانُهُمْ عَلَيْهَا، وَقَضَاءُ السَّاعَاتِ وَالْأَوْقَاتِ الطَّوِيلَةِ فِي الْجُلُوسِ أَمَامَهَا؛ وَهَذَا يُؤَثِّرُ سَلْبًا عَلَى حَيَاةِ الشَّبَابِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ، بَلْ وَيَتَسَبَّبُ بِالكَثِيرِ مِنَ الْأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ وَالْعَقْدِيَّةِ، وَلِهَا آثَارٌ عَلَى سَلَامَةِ النَّظَرِ وَالْبَدَنِ.

((٥)) الْعُزْلَةُ عَنِ الْمُجْتَمَعِ: فَأَغْلَبُ مَنْ يَتَعَامَلُونَ مَعَ هَذِهِ الْبَرَامِجِ وَالْمَوَاقِعِ يَنْعَزِلُونَ وَيَنْقَطِعُونَ عَنِ التَّوَاصُلِ مَعَ مَنْ حَوْلَهُمْ؛ فَيَجْلِسُونَ فِي عَرَفِهِمْ، أَوْ فِي أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ عَنِ النَّاسِ، وَكَمْ أَنْعَزَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ عَنِ آبَائِهِمْ وَأَمَهَاتِهِمْ! وَكَمْ اسْتَكَى كَثِيرٌ مِنَ الْأَبَاءِ مِنْ كَثْرَةِ انْشِغَالِ آبَائِهِمْ عَنْهُمْ، وَنَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّهِمْ، وَفِي تَلْبِيَةِ أَحْتِيَاجَاتِهِمْ بِحُجَّةِ الانْشِغَالِ بِالْجُؤَالِ! وَكَمْ انْقَطَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْلَادِ عَنِ التَّوَاصُلِ مَعَ أَقَارِبِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ! كُلُّ ذَلِكَ سَيُؤَثِّرُ سَلْبًا عَلَى الْوَالِدِ، وَعَلَى شَخْصِيَّتِهِ وَتَوَازُنِهِ، وَسَيُسِيئُهُمْ فِي تَفْكِكِ الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ.

((٦)) حُصُولُ عِلَاقَاتٍ مَشْبُوهَةٍ وَمَحْرَمَةٍ، وَمُكَالِمَاتٍ غَيْرِ نَزِيهَةٍ بَيْنَ الْجَنْسَيْنِ، وَالتَّيُّ تُوْدِي إِلَى إِقَامَةِ عِلَاقَاتٍ عَاطْفِيَّةٍ؛ وَمِثْلُ هَذِهِ الْعِلَاقَاتِ الْمَشْبُوهَةِ تُوْدِي إِلَى إِفْسَادِ الشَّبَابِ وَالْبِنَاتِ، وَابْتِرَازِ الشَّبَابِ لِلْبِنَاتِ عَنِ طَرِيقِ نَشْرِ صُورِهِنَّ، أَوْ تَسْجِيلِ مُكَالِمَاتِهِنَّ مِمَّا يُوْدِي إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمِ، وَذَهَابِ الْعَرِضِ وَالشَّرْفِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُجَنِّبَنَا مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ؛ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِحُجَّتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الدَّاعِيَ إِلَى رِضْوَانِهِ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَإِخْوَانِهِ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ: فَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُحْصَنُ شَبَابُنَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْأَثَارِ السَّلْبِيَّةِ لِتِلْكَ الْوَسَائِلِ:

((١)) أَهْمِيَّةُ دَوْرِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ فِي رِعَايَةِ الْأَوْلَادِ، وَوَقَايَتِهِمْ مِنْ مَخَاطِرِ تِلْكَ الْوَسَائِلِ؛ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مُرَاقَبَتِهِمْ، وَمَنْعِهِمْ مِنَ الْجُلُوسِ أَمَامَ هَذِهِ الْوَسَائِلِ وَالْمَوَاقِعِ لِسَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَعَدَمِ تَرْكِهِمْ مُنْفَرِدِينَ، وَضُرُورَةَ مُتَابَعَتِهِمْ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ وَمَنْ يَتَوَاصَلُونَ مَعَهُمْ لِكَيْ لَا يُفَاجِئُوا بِأَنَّ أَوْلَادَهُمْ قَدْ تَأَثَّرُوا بِالْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالْمَوَاقِعِ الْمَشْبُوهَةِ؛ فَاللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَمَرَنَا بِالْعِنَايَةِ بِالْأَوْلَادِ وَالْقِيَامِ بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ؛ فَقَالَ ﷺ: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»** [التَّحْرِيم: ٦].

وَمِنَ الْوَصِيَّةِ لِلْأَبَاءِ وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ التَّقَرُّبُ لِأَوْلَادِهِمْ، وَتَكْوِينُ صِدَاقَاتٍ مَعَهُمْ، وَمُجَالَسَتُهُمْ، وَمُحَاورَتُهُمْ فِيمَا يَعْضُرُ لَهُمْ مِنَ الشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَتَفْنِيدِهَا وَتَصْحِيحِهَا، وَتَبْصِيرُهُمْ بِخَطُورَةِ الشَّائِعَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنَ الصُّحْبَةِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي يَتَعَرَّفُونَ عَلَيْهَا مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْمَوَاقِعِ.

((٢)) أَهْمِيَّةُ دَوْرِ مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَةِ فِي تَوْعِيَةِ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ بِشَكْلِ عَامٍّ، وَالشَّبَابِ بِشَكْلِ خَاصٍّ بِأَضْرَارِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ وَمَوَاقِعِ الشَّبَكَةِ الْعَنَكَبُوتِيَّةِ وَسَلْبِيَّاتِهَا، وَتَوَجِيهِهِمْ إِلَى اسْتِغْلَالِهَا اسْتِغْلَالَ الْأَمْتِلِ الَّذِي يَعُودُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى وَطَنِهِمْ بِالنَّفْعِ وَالْخَيْرِ؛ فَالْجَمِيعُ مَسْئُولٌ أَمَامَ اللَّهِ عَنِ تَحْمُلِ الْأَمَانَةِ؛ يَقُولُ ﷺ: **«(أَلَا كَلِمَتُكُمْ رَاعٍ، وَكَلِمَتُكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رِعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رِعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلِمَتُكُمْ رَاعٍ، وَكَلِمَتُكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رِعِيَّتِهِ)»**٦.

((٣)) يَجِبُ اسْتِغْلَالُ تِلْكَ الْوَسَائِلِ وَالْمَوَاقِعِ فِي الدَّفْعِ عَنِ دِينِ اللَّهِ ضِدَّ الْهَجْمَةِ الشَّرْسَةِ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا، وَفِي شَرْحِ مَبَادِيئِ الْإِسْلَامِ وَفِيهِ، وَتَعْرِيفِ الْعَالَمِ بِهِ وَبِحُكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَسُمُومِ مَقَاصِدِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَدَحْضِ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَحَاكُ ضِدَّهُ؛ اسْتِجَابَةً لِقَوْلِهِ ﷺ: **«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»** [النَّحْل: ١٢٥].

وَهَذَا مِنَ التَّعَاوُنِ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ ﷺ: **«وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدَاوَانِ»** [الْمَائِدَةِ: ٢].

((٤)) اسْتِثْمَارُ هَذِهِ الْوَسَائِلِ فِي التَّوَاصُلِ مَعَ الْمَسْئُولِينَ؛ لِتَعْرِيزِ اللُّحْمَةِ الْوَطَنِيَّةِ وَتَقْوِيَّتِهَا، وَلِجَمْعِ

الْكَلِمَةَ، وَوَجُوبِ طَاعَةِ وُلاةِ الْأُمُورِ بِالْمَعْرُوفِ؛ قَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» [النساء: ٥٩].

وَلِتَوْحِيدِ الصَّفِّ ضِدِّ مَنْ يُرِيدُ بِهَذِهِ الْبِلَادِ الشَّرَّ وَالْفَسَادَ، وَلِلتَّحْذِيرِ مِنْ كُلِّ مَنْ يُرِيدُ بِشَقِّ الصَّفِّ، وَتَفْرِيقِ الْكَلِمَةِ؛ فَالنِّزَاعُ وَالشِّقَاقُ وَالْإِخْتِلَافُ يُؤَلِّدُ الْفِرْقَةَ وَالضَّعْفَ أَمَامَ الْأَعْدَاءِ؛ وَاللَّهُ حَدَرْنَا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ ﷺ: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٦].

وَاللَّهُ حَتَّنَا عَلَى الْوَحْدَةِ وَالْإِعْتِصَامِ؛ فَقَالَ: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: ١٠٣].

اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنَّا وَعَنْ بِلَادِنَا مَضَلَاتِ الْفِتَنِ؛ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا.

اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أُمَّتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِلَادِنَا، وَمُقَدَّسَاتِنَا، وَوَلَاتِنَا، وَعُلَمَاءِنَا، وَشَبَابِنَا، وَأَعْرَاضِنَا بِسُوءٍ فَأَشْغَلْهُ فِي نَفْسِهِ، وَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ تَدْبِيرَهُ تَدْمِيرًا لَهُ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

هَذَا وَصَلُّوا عِبَادَ اللَّهِ، وَسَلَّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ؛ فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٥٦].

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ.

وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ صَلَحَ عَمَلُهُ، وَغُفِرَ ذَنْبُهُ، وَفَازَ وَنَجَى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عبادَ اللَّهِ: أَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ الْعَظِيمَ، وَفَرَّقَ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَالرُّشْدِ وَالْغَيِّ؛ قَالَ ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].^٧

وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ، وَكَلَّمَهُ بَيِّنَاتٍ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعَانِيهِ، فَجَاءَتْ سُنَّتُهُ ، وَهَدْيُهُ، وَسُلُوكُهُ فِي عِبَادَتِهِ، وَمُعَامَلَتِهِ، وَدَعْوَتِهِ بَيِّنَاتٍ لِلْقُرْآنِ، وَتَفْسِيرًا لِأَلْفَاظِهِ الَّتِي تَشْكَلُ، وَتَوْضِيحًا لِمَجْمَلَاتِهِ وَمُبْهَمَاتِهِ، وَكَذَلِكَ بَيَّنَّتْ مَا فِيهِ مِنْ تَكْمِيلَاتٍ يَكُونُ الْقُرْآنُ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا؛ كَمَا قَالَ ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].^٨

وَلَقَدْ تَمَيَّزَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِأَنَّهَمْ يَأْخُذُونَ بِعَقِيدَتِهِمْ، وَجَمِيعِ أُمُورِ دِينِهِمْ عَلَى ضَوْءِ فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، لَا يُقَدِّمُونَ أَفْهَامَهُمْ عَلَى أَفْهَامِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذِكُّكُمْ وَصَاكُمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وَصَدَقَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قَالَ: لَا يَصْلُحُ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوْلَاهَا.

٤٧ ((تَفْسِيرُ الْعُثَيْمِينِ/ الْفَاتِحَةُ وَالْبَقَرَةُ)) 3/265.

٤٨ ((تَفْسِيرُ الْعُثَيْمِينِ/ الْفَاتِحَةُ وَالْبَقَرَةُ)) 3/265، ((تَفْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ))، ص (441)).

وَمَا صَلَّحَ بِهِ أَوْلَاهَا هُوَ الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ فِي هَذَا الْجَانِبِ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَقِيدًا بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَمَنْهَجِهِمْ .

فَمَنْ هُمُ السَّلَفُ الصَّالِحُ؟ وَمَا الْمَقْصُودُ بِفَهْمِهِمْ؟

يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: السَّلَفُ الصَّالِحُ هُمُ الصَّحَابَةُ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَاتَّبَعَ التَّابِعِينَ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ سَارَ عَلَى الْحَقِّ، وَتَمَسَّكَ بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ، وَبَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي جَمِيعِ أُمُورِ الدِّينِ؛ نَسَّأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ^{٤٩} . اهـ .

وَفِي ((الصَّحِيحِ)) يَقُولُ ﷺ: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ))^{٥٠} .

وَالْمَقْصُودُ بِفَهْمِ السَّلَفِ لِلنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ: هُوَ مَا عَلَّمَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَاتَّبَاعُهُمْ، وَفَقَهُوهُ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ النُّصُوصِ أَوْ أَحَادِهَا = مُرَادًا لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَسَائِلِ الدِّينِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مِمَّا أَثَرَ عَنْهُمْ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ .

عِبَادَ اللَّهِ: مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَاقْتِضَاءِ آثَارِهِمْ، وَسُلُوكِ مَنَاجِعِهِمْ؛ فَقَالَ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكُلُّ مَنْ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إِلَى اللَّهِ، فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ؛ وَأَقْوَالُهُ وَاعْتِقَادَاتُهُ مِنْ أَكْبَرِ سَبِيلِهِ^{٥١} .

وَأَخْبَرَنَا عَنْ رِضَاهُ عَنْهُمْ، وَعَمَّنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ فَقَالَ ﷺ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ بِالْإِعْتِقَادَاتِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ سَلِمُوا مِنَ الدَّمِّ، وَحَصَلَ لَهُمْ نَهَايَةُ الْمَدْحِ، وَأَفْضَلُ الْكِرَامَاتِ مِنَ اللَّهِ^{٥٢} .

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ السَّبَبَ فِي وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِمَنْهَجِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ = أَنْ عَقُولُهُمْ مِنْ أَكْمَلِ الْعُقُولِ وَأَوْفَرَهَا، وَهُمْ سَادَاتُ الْأُمَّةِ، وَقُدُودُ الْأُمَّةِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ، وَصَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ شَاهِدُوا التَّنْزِيلَ، وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ، وَعَايَنُوا الرَّسُولَ، وَعَرَفُوا مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَنَسَبَهُ مَنْ بَعْدَهُمْ فِي الْعِلْمِ إِلَيْهِمْ كَنَسَبَتِهِمْ إِلَيْهِمْ فِي الْفَضْلِ وَالدِّينِ^{٥٣} .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلَيْسَتْ بِيَمَنٍ مَاتَ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ؛ أَوْلَيْكَ ((مَجْمُوعُ فَتَاوَى ابْنِ بَازٍ)) 9/238 .

٤٩ ٥٠ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 2625، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 2533 .

٥١ ((إِعْلَامُ الْمُؤَقِّعِينَ عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) 4/130 .

٥٢ ((تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ))، ص (350) .

٥٣ انظر: ((مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى)) ٢٠٠/١٩، و((إِعْلَامُ الْمُؤَقِّعِينَ عَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) ١١٢/٤ .

أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا.

وَمَعْنَى قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَنْ يُرِيدُ السُّلُوكَ عَلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ، وَسَوَاءِ السَّبِيلِ، وَالطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَالْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ = فَلْيَقْتَدِ بِمَنْ مَاتَ وَذَهَبَ عَنِ الدُّنْيَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ.

عِبَادَ اللَّهِ: اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْطِئَ السَّلَفَ الصَّالِحَ وَيُصِيبَ مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ: مِنَ الْمَحَالِ أَنْ يُخْطِئَ الْحَقُّ فِي حُكْمِ اللَّهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَيُظْفِرَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَيْضًا فَإِنَّ مَا أَفْتَى بِهِ أَحَدُهُمْ وَسَكَتَ عَنْهُ الْبَاقُونَ كُلُّهُمْ فَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَدْ رَأَوْهُ حَسَنًا، أَوْ يَكُونُوا قَدْ رَأَوْهُ قَبِيحًا؛ فَإِنْ كَانُوا قَدْ رَأَوْهُ حَسَنًا فَهُوَ حَسَنٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ رَأَوْهُ قَبِيحًا وَلَمْ يَنْكُرُوهُ لَمْ تَكُنْ قُلُوبُهُمْ مِنْ خَيْرِ قُلُوبِ الْعِبَادِ، وَكَانَ مَنْ أَنْكَرَهُ بَعْدَهُمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَعْلَمَ؛ وَهَذَا مِنْ أَبِيهِ الْمَحَالِ!°.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ بَلَّغَنِي عَنْهُمْ - يَعْني الصَّحَابَةَ - أَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِزُوا بِالْوُضُوءِ ظُفْرًا مَا جَاوَزْتَهُ بِهِ، وَكَفَى عَلَى قَوْمٍ وَرَرًا أَنْ تُخَالِفَ أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالَ أَصْحَابِ نَبِيِّهِمْ .

بَارِكْ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَعَلَّمَنَا الْحِكْمَةَ وَالْقُرْآنَ، وَجَعَلَنَا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ،
وَأَلْبَسَنَا لِبَاسَ التَّقْوَى خَيْرَ لِبَاسٍ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ فَإِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ.

وَأَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّ الْأُمَّةَ تَحَقُّقُ سَبَبِ التَّمَسُّكِ بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ثَمَرَاتٍ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

((١)) مَعْرِفَةُ مُرَادِ اللَّهِ، وَمُرَادِ رَسُولِهِ؛ إِذْ هِيَ غَايَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ يُرِيدُ الْاِعْتِصَامَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَوْلًا
وَعَمَلًا.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ، وَوَلَاةُ الْأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ
اللَّهِ، وَاسْتِعْمَالٌ لَطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا، وَلَا النَّظْرُ فِي رَأْيِ
مَنْ خَالَفَهَا، وَمَنْ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنْ انْتَصَرَ بِهَا مَنصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
وَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

((٢)) الْعِصْمَةُ مِنَ الضَّلَالِ وَالْفِرْقَةِ: إِنَّ الْعَوْدَةَ لِلْفَهْمِ الْأَصِيلِ - فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ - أَصْبَحَ الْيَوْمَ
ضُرُورَةً مُلِحَّةً؛ وَذَلِكَ لِجَمْعِ شَتَاتِ الْأُمَّةِ، وَتَوْحِيدِ كَلِمَتِهَا بِتَوْحِيدِ الْأُصُولِ، فَيَقِلُّ التَّنَازُعُ وَالتَّشَاخُنُ
الَّذِي ابْتَلَى بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتרכת النصارى على ثنتين وسبعين
فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة))، قالوا: ما هي؟ قال: ((ما
أنا عليه وأصحابي))^{٥٥}.

قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في ((رسالته)): اللجأ إلى كتاب الله، وسنة نبيه، واتباع سبيل
المؤمنين، وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس = نجاة؛ ففي المَفْرَعِ إِلَى ذَلِكَ الْعِصْمَةِ، وَفِي
اتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ النِّجَاةُ^{٥٦}.

((٣)) أَنَّهَا وَسِيلَةٌ لِحَسْمِ مَادَّةِ الْاِبْتِدَاعِ، وَإِغْلَاقِ بَابِ الْبِدْعَةِ وَالْاِحْدَاتِ فِي الدِّينِ لِأَنَّ الْمُبْتَدِعَةَ عَادَةً
يَتَعَلَّقُونَ بِبَعْضِ النُّصُوصِ وَيَتَأَوَّلُونَهَا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهَا، وَيَفْهَمُونَهَا عَلَى غَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنَّ
عَلَى مُرَادِهِمْ هُمْ؛ لِتَوْافِقِ أَهْوَاءِهِمْ وَمَا اسْتَحْدَثُوهُ مِنَ الْبِدْعِ = وَفَهْمِ السَّلَفِ هُوَ الْفَيْصَلُ فِي هَذِهِ
الْمَسْأَلَةِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ إِلَّا الضَّلَالُ.

قال الإمام أحمد رحمه الله: أوصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله،
والاقتداء بهم، وترك البدع؛ وكل بدعة فهي ضلالة، وترك المراء والجدال، والخصومات في الدين^{٥٧}.

عباد الله: إن الطعن في السلف الصالح، أو في عملهم وأفهامهم هو طعن في دين الإسلام، وفي رسولنا

^{٥٥} أخرجه الترمذي في سننه، برقم: ٢٦٤١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم: ٢٦٤١.

^{٥٦} ((الفواكه الدواني)) 2/355.

^{٥٧} ((المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل))، ص (٦٩).

مُحَمَّدٌ : فَمَا يُرِيدُ الطَّاعِنُونَ وَالْمُشَكِّكُونَ فِي سَلَفِنَا الصَّالِحِ إِلَّا النَّيْلَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛ وَصَدَقَ اللَّهُ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ثُمَّ صَلُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَثَمَةِ الْحُنْفَاءِ، الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ الْفَارُوقِ، وَذِي النُّورَيْنِ عُمَانَ، وَأَبِي السَّبْطَيْنِ عَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْلِلْ كَلِمَةَ الدِّينِ، وَأَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُؤَحِّدِينَ يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رِخَاءٍ؛ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ لِيَّيْ أَمْرَنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَارْزُقْهُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ النَّاصِحَةَ، وَجَنِّبْهُ بَطَانَةَ السُّوءِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

(٧) أَهْمِيَّةُ الْبِنَاءِ الْفِكْرِيِّ الْمُعْتَدِلِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ.
 وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.
 مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
 وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ،
 وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى؛ فَتَقْوَى اللَّهِ
 أَجَلُ الْمَطْلَبِ، وَنَيْلُهَا أَشْرَفُ الْمَوَاهِبِ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
 إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ١٠٢].

عِبَادَ اللَّهِ: آمَنَ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ بِدِينٍ شَامِلٍ عَظِيمٍ، وَشَرَعَ كَامِلٍ مُبِينٍ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ سَعَدَ فِي دِينِهِ
 وَدُنْيَاهُ، وَمَنْ فَرَطَ فِيهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَكَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ، وَاللَّهُ أَمْرٌ بِطَاعَتِهِ وَحَذْرٌ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؛
 قَالَ ﷺ: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [آل عمران: ١٣٢].

وَاللَّهُ يَغَارُ إِنْ ارْتَكَبْتَ مَعْصِيَةَ؛ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَغَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ))^{٥٨}.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ، وَالتَّمَسُّكِ بِدِينِهِ الْمُبِينِ، وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ؛ قَالَ ﷺ:
 : «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: ١٠٣].

وَبِالتَّمَسُّكِ بِدِينِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ يَتَحَقَّقُ النَّصْرُ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ الْمُتَرَبِّصِينَ بِالْإِسْلَامِ
 وَالْمُسْلِمِينَ، وَبِالْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ الْكَلِمَةَ تَتَنَافَرُ الْقُلُوبُ، وَيَحْصُلُ الْغُلُوبُ وَالتَّطَرُّفُ وَالتَّحْرَافُ، وَيَتَحَقَّقُ
 مَا يَصْبُو إِلَيْهِ الْأَعْدَاءُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْهَوَانِ وَالْإِخْتِلَافِ؛ قَالَ ﷺ: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» [آل عمران: ١٠٥].

وَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ مِنَ الْفُرْقَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ضَعْفِ الْأُمَّةِ؛ فَقَالَ ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ))^{٥٩}.

عِبَادَ اللَّهِ: دَعَا الْإِسْلَامُ إِلَى الْوَسْطِيَّةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الدِّينِ، وَلِزُورِ مَنْهَجِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ غَيْرِ

٥٨ أخرجهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 5223 .

٥٩ أخرجهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، بِرَقْمٍ: ٢١٦٥، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ، بِرَقْمٍ: ٢١٦٥.

إِفْرَاطٌ وَلَا تَفْرِيطٌ، وَلَا غُلُوٌّ وَلَا مُجَافَاةٌ؛ قَالَ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فُجِئَتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ وَسَطًا فِي مَنَهِجِهَا، وَسَطًا فِي أَحْكَامِهَا، وَسَطًا فِي تَشْرِيعَاتِهَا، وَسَطًا فِي كُلِّ قَضَايَاهَا الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ الْفَرِيقَةَ النَّاجِيَةَ، وَمَيَّزَهَا بِالْوَسْطِيَّةِ وَالْإِعْتِدَالِ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ قَالَ عَنْهُمْ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ))^{٦٠}.

فَالْأُمَّةُ الْوَسْطُ عِبَادَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَالْتَوَازُنِ وَالْأَمَانَةِ، وَالصِّدْقِ وَالْإِعَانَةِ، هُمْ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالصَّفَاءِ، وَالْمَحَبَّةِ وَالْإِحْيَاءِ، هُمْ أَهْلُ الرَّفْقِ وَاللِّينِ، وَالسَّمَاخَةِ وَالذِّينِ، هُمْ أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى تَحْقِيقِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَنَشْرِ الْأَلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْإِطْمِنَانِ، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ إِثَارَةِ الْفَوْضَى وَالشَّحْنَاءِ، وَتَاجِيجِ الْفِتَنِ وَالْبَغْضَاءِ، هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ، هُمْ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلْإِيمَانِ، يَمْتَثِلُونَ أَوْامِرَ رَبِّهِمْ، وَيَتَّبِعُونَ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَأْوِيلٍ، وَلَا ابْتِدَاعٍ وَلَا تَعْطِيلٍ؛ قَالَ ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَالَ ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))^{٦١}.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَدَيْنُ اللَّهِ وَسَطٌ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَائِفِ عَنْهُ، وَخَيْرُ النَّاسِ الْوَسَطُ الَّذِينَ ارْتَفَعُوا عَنِ تَقْصِيرِ الْمَفْرُطِينَ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِغُلُوِّ الْمُعْتَدِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْوَاقِعَ يَشْهَدُ بِأَنَّ أَصْحَابَ الْغُلُوِّ وَالْإِنْحِرَافِ، وَأَهْلَ الزَّيْغِ وَالنَّطْرُفِ وَالْإِخْتِلَافِ = هُمْ أَضْيَقُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَشَدُّهُمْ قَلْبًا وَهَمًّا، وَأَكْثَرُهُمْ غَضَبًا وَعَمَّا، لَقَدْ عَمَدُوا إِلَى اسْتِخْدَامِ الْعُنْفِ وَالْغُلْطَةِ، وَالشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ لِحَمَلِ الْآخِرِينَ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ فِي آرَائِهِمُ الْمَلُوثَةِ، وَسُلُوكِ مَنَاجِهِمُ الْمُنْحَرِفَةَ، فَوَقَعُوا فِي الْفِتَنِ وَالشَّهَوَاتِ، وَاتَّبَعُوا الْأَهْوَاءَ وَالشَّبَهَاتِ؛ قَالَ ﷺ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

فَكَانَ لِسُلُوكِهِمُ الْمُنْحَرِفِ، وَلِفِكْرِهِمُ الْمُنْطَرِفِ، وَشَبَهَهُمُ الْوَاهِيَةُ = آثَارٌ سَيِّئَةٌ، وَنَتَائِجٌ مُفْجِعَةٌ تَجَرَّعَ الْمُجْتَمَعُ مَرَّهَا وَعَلَقَمَهَا، وَعَاشَتِ الْأُمَّةُ مَحْنَهَا وَشَرَّهَا، فَزَاغَتِ الْقُلُوبُ، وَطَاشَتِ الْعُقُولُ، وَانْحَرَفَتِ الْأَفْهَامُ، فَاطْلَقُوا أَنْفُسَهُمُ الْعِنَانَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْآخِرِينَ، فَأَخْرَجُوا مَنْ شَاؤُوا مِنَ الْإِسْلَامِ مُعْتَمِدِينَ عَلَى الْأَرَاءِ الْوَاهِيَةِ، وَالْأَقَاوِيلِ الْكَاذِبَةِ، وَالشَّائِعَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَالْأَفْهَامِ الْمُنْحَرِفَةِ؛ قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَىٰ لَكَ فِي الْأَدْلِينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

عِبَادَ اللَّهِ: لَا حِمَايَةَ لِلْعَقْلِ مِنَ التَّطْرُفِ وَالْإِنْحِرَافِ، وَلَا نَجَاةَ لِلْفِكْرِ مِنَ الْغُلُوِّ وَالضَّلَالِ إِلَّا بِنَشْرِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الصَّحِيحِ الْمَبْنِيِّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ بِفَهْمِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الرَّبَّانِيِّينَ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْمَنَهِجِ وَالسُّلُوكِ، وَالَّذِينَ أَخَذُوا الْعِلْمَ مِنْ مَصَادِرِهِ الصَّحِيحَةِ، وَمَتَابِعِهِ الصَّافِيَةِ السَّلِيمَةِ، وَالَّذِينَ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ؛ قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وَيَجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْمُرَبِّينَ، وَأَهْلِ الْفَضْلِ وَالغَيْرِيِّينَ = احْتِوَاءُ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَرْسُ الْمَفَاهِيمِ

٦٠ أخرج الترمذي في سننه، برقم: ٢٢٢٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم: ٢٢٢٩.

٦١ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 4418، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 1718.

الشَّرْعِيَّةَ الصَّحِيحَةَ فِي نَفْسِهِمْ، وَالْعَمَلَ عَلَى تَحْصِينِ عُقُولِهِمْ وَحِمَايَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ أَيْدِي الْعَابِثِينَ أَصْحَابِ الْعَقَائِدِ الْمَلُوثَةِ وَالْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ؛ إِذِ السَّلَامَةُ عِبَادَ اللَّهِ تَبْدَأُ مِنْ بِنَاءِ الْعَقْلِ الصَّحِيحِ وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ التَّعْلِيمِ السَّلِيمِ وَالسُّلُوكِ الْقَوِيمِ الْبَانِي لِلْعُقُولِ، وَالْمُرْشِدِ لِلسُّلُوكِ؛ قَالَ ﷺ: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» [الزمر: ٩].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَلِلْأُسْرَةِ دَوْرَهَا الْكَبِيرُ، وَأَتْرُهَا الْعَظِيمُ فِي تَشْيِئَةِ أُنْبَائِهَا عَلَى الْفِكْرِ الْمُعْتَدِلِ، وَالْمَنْهَجِ الْوَسْطِيِّ، وَحِمَايَةِ عُقُولِهِمْ مِنَ الْأَفْكَارِ الْغَرِيبَةِ وَالتَّيَّارَاتِ الدَّخِيلَةِ؛ وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَشْيِئَتِهِمْ عَلَى الْإِنْتِمَاءِ لِدِينِهِمْ، وَحُبِّ وَطَنِهِمْ، وَوُجُوبِ طَاعَةِ وَوَلَاةِ أَمْرِهِمْ، وَتَوْقِيرِ عُلَمَائِهِمْ، وَغَرَسِ مَفْهُومِ الْأُخُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ؛ قَالَ ﷺ: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» [الحجرات: ١٠].

وَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ إِعْبَادُ أَوْلَادِهِمْ عَنْ رُقْعَاءِ السُّوءِ، وَأَصْحَابِ الْفِكْرِ الْمُنْحَرِفِ، الَّذِينَ يَهْدُمُونَ وَلَا يَبْنُونَ، وَيُفْسِدُونَ وَلَا يَصْلِحُونَ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» [التحریم: ٦].

وَقَالَ ﷺ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))^{٦٢}.

فَالْبَعْدُ عَنْ رُقْعَاءِ السُّوءِ سَلَامَةً، وَالْفِرَارُ مِنْهُمْ غَنِيمَةً.

وَإِنَّ النَّظَرَ عِبَادَ اللَّهِ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ وَالْعَقْلِ الْمُنْتَقِظِ لِيَدْرِكَ أَنَّ سَبَبَ الْإِنْجِرَافِ الْفِكْرِيِّ، وَالتَّطَرُّفِ الْعَقْلِيِّ يَقِفُ وَرَاءَهُ رِفَاقُ السُّوءِ أَصْحَابِ الْفِكْرِ الْمُنْحَرِفِ، وَالرَّأْيِ الْمُنْتَرَفِ؛ لِذَا حَذَرَ الْعُلَمَاءُ مِنَ مَخَالَطَتِهِمْ، وَنَهَوْا عَنِ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ.

يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ.

وَيَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَهْلُ الْأَهْوَاءِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُجَالِسَهُمْ، وَلَا يُخَالَطَهُمْ، وَلَا يَأْتِسَ بِهِمْ.

هَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ أَصْحَابِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَأَهْلِ الرِّيْغِ وَالْآرَاءِ؛ أَنْ لَا يُمْكِنُوهُمْ، وَلَا يُجَالِسُوهُمْ، وَلَا يُخَالَطُوهُمْ، بَلْ يَفْرُونَ مِنْهُمْ وَيَحْذَرُونَ مِنْهُمْ صِيَانَةً لِلْعَقِيدَةِ، وَحِمَايَةَ لِلشَّرِيعَةِ مِنْ شَوَائِبِ الْبِدْعِ وَالْإِنْجِرَافِ، وَتَحْصِينَا لِلْعُقُولِ ضِدَّ شَبْهِهِمْ وَتَلْبِيسِهِمْ وَمَكْرِهِمْ.

وَبَعْدُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فَدِينُ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَشَرْعُهُ مُحْكَمٌ مُبِينٌ، جَاءَ بِالسَّمَاخَةِ وَالتَّيْسِيرِ، وَالرَّفْقِ وَالتَّسْوِيلِ؛ قَالَ: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» [البقرة: ١٨٥].

وَقَالَ ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَكُنْ يَشَادُ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدُّوْا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا))^{٦٣}.

وَمَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ وَالْفَلَاحَ، وَالتَّوْفِيقَ وَالنَّجَاحَ فَلْيَلْزِمْ عُبُودِيَّةَ رَبِّهِ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ الرِّيْغِ وَالضَّلَالِ؛ وَالْعَاقِلُ عِبَادَ اللَّهِ مَنْ اعْتَصَمَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَصْلَحَ نَفْسَهُ، وَدَعَا غَيْرَهُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَاللِّينِ.

^{٦٢} مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 2554، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 1829.

^{٦٣} أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 39.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ.
وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِحُشَانِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ صَاحِبَ الْفِكْرِ السَّلِيمِ، وَالْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ يَتَمَتَّعُ بِوَعْيٍ نَاضِحٍ، وَفَهْمٍ ثَاقِبٍ، لَا يَرِضَى
لِنَفْسِهِ بِالْإِنْجِلَالِ، وَلَا يَقْبَلُ لِعَقْلِهِ الْجُمُودَ وَالضَّلَالَ؛ فَهُوَ صَاحِبُ طَبْعٍ هَادٍ، وَخَلْقٍ رَاقٍ، لَا يَمِيلُ مَعَ
الْأَهْوَاءِ، وَلَا يَتَّبِعُ الشَّهَوَاتِ، وَيُنَآئِ بِنَفْسِهِ عَنِ الشُّبُهَاتِ، هُوَ ثَابِتٌ عَلَى الْحَقِّ ثَبَاتِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ؛
قَالَ ﷺ: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَتَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُمُ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : فَقَدْ أَمَرَكُمُ الْمَوْلَى بِذَلِكَ فَقَالَ
قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ
كَانُوا يَعْدِلُونَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِجُودِكَ
وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ هَذَا الْبَلَدَ
أَمْنًا مُطْمَئِنًّا رَحَاءً، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إِمَامَنَا لِهَذَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْ جَمِيعَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ
وَتَحْكِيمِ شَرْعِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ مَا قَسَمْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ صِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَسَعَةِ رِزْقٍ فَارْتَبْنَا لَنَا مِنْهُ أَوْفَرَ
الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ وَبِلَاءٍ وَفِتْنَةٍ فَاصْرِفْهُ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْصِرْهُمْ عَلَى الْعَدُوِّ يَا قَوِيَّ يَا عَظِيمُ يَا عَزِيزُ.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ آيَاتِهِ وَنِعْمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَصْنَعُونَ.

(٨) النِّزَاعَاتُ وَالْاِخْتِلَافُ سَبَبُ الْفُرْقَةِ وَتَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ

الرَّخِطَةُ الْأُولَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ دَلَّنَا عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَحَذَّرَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا النِّعَمَ، وَدَفَعَ عَنَّا النِّقَمَ، لَا مَنَعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مَعْطَى لِمَا مَنَعَ، وَلَا رَادٌّ لِمَا قَضَى، الْأَمْرُ أَمْرُهُ، وَالْحُكْمُ حُكْمُهُ، وَالخَلْقُ خَلْقُهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْكَبِيرُ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الَّذِي يَصُمُدٌ^{٦٤} إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: تَقَوَّى اللَّهُ مَحَطُّ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَجَلَبِ الْأَرْزَاقِ، وَتَيْسِيرِ الْأُمُورِ، وَتَكْفِيرِ الْخَطَايَا.

يَقُولُ الْعَظِيمُ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وَيَقُولُ الْكَبِيرُ ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْبُعْدَ عَن تَطْبِيقِ تَعَالِيمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فِي أَمْرِهِ بَعْدَمِ النَّفْرُقِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالْاِخْتِلَافِ = أَعْظَمُ الْأَسْبَابِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى كِيَانِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ السَّبَبُ الَّذِي أَطْمَعَ فِيهِمُ الْأَعْدَاءَ، وَجَعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ؛ لاسْتِزْلَامِهِ الْفِشْلَ، وَذَهَابِ الْقُوَّةِ وَالِدَوْلَةِ^{٦٥}.

يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

كُنْتُمْ أَعْدَاءً: يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَأْخُذُ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ، حَتَّى إِنَّ أَبْنَاءَ الْقَبِيلَةِ الْوَاحِدَةِ يُعَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَهْلَ الْبَلَدِ الْوَاحِدِ يَقَعُ بَيْنَهُمُ التَّعَادِي وَالْاِفْتِتَالُ، وَكَانُوا فِي شَرِّ عَظِيمٍ، وَهَذِهِ حَالَةُ الْعَرَبِ قَبْلَ بَعْتَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَعْتَهُ اللَّهُ وَآمَنُوا بِهِ اجْتَمَعُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَتَأَلَّفَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، فَأَصْبَحُوا كَالشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنْ تَأَلَّفِ قُلُوبِهِمْ وَمُؤَالَاةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ^{٦٦}.

عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كُنْتُمْ تَذَابِحُونَ فِيهَا، يَأْكُلُ شَدِيدُكُمْ ضَعِيفَكُمْ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ،

٦٤ أَيُّ: يَقْصُدُ.

٦٥ ((تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ))، ص ((127))، ((أَصْوَاءُ الْبَيَانِ فِي إِضْحَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ)) 3/53.

٦٦ ((تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ))، ص ((142)).

فَأَخَى بِهِ بَيْنَكُمْ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ. أَمَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّ الْأَلْفَةَ لَرَحْمَةٌ، وَإِنَّ الْفُرْقَةَ لَعَذَابٌ^{٧١}.

عبادَ الله: يَعْجَبُ الْمُتَأَمِّلُ فِي سِيرَةِ الْمُصْطَفَى ، وَصَحَابَتِهِ مِنَ الْجُهْدِ الَّذِي بَدَّلُوهُ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ، حَتَّى لَقَدْ بَدَّلُوا مُهْجَهُمْ فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنْهُ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَمِمَّا أَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ اجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ وَوَحْدَةُ صَفِهِمْ؛ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: ١٠٣].

وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ يُبْكَرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّفَرُّقِ الَّذِي يُنَايِ فِي وَحَدَّتُهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ بِقَوْلِهِ ﷺ: ((مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَنِعَاطِفِهِمْ مِثْلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوٌّ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى))^{٧٢}.

هَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ يُرْشِدُ أَصْحَابَهُ إِلَى أَنْ لَا يَخْتَلِفُوا عَلَى إِمَامِهِمْ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنْ تُرَاعَى تَفَاقُهُمْ بِدَقَّةٍ، فَلَا يُسَابِقُ وَلَا يُتَأَخَّرُ عَنْهُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ؛ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ))^{٧٣}.

فَالْحِكْمَةُ مِنْ جَعَلِ الْإِمَامِ أَنْ يَمْتَدَى بِهِ وَيَتَابَعِ، فَلَا يُخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ^{٧٤}.

وَأَمَرَ النَّبِيُّ أُمَّتَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَوْلَا أُمُورُهُمْ، وَالْأَنْبِزَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، فَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ الْمَصَالِحُ الْعَظْمَى وَيَأْمَنُ النَّاسُ، وَيَتِمَّ كُنُوزُ مَنْ إِقَامَةَ شَعَائِرِ دِينِهِمْ؛ فَعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ فَبَايَعَنَا، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةِ عَلَيْنَا^{٧٥}، وَالْأَنْزَاعِ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ ﷺ: ((إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ))^{٧٦}.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا السُّلْطَانَ وَالْعُلَمَاءَ؛ فَإِذَا عَظَّمُوا هَدَيْنِ أَصْلَحَ اللَّهُ دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ، وَإِذَا اسْتَحَفُّوا بِهِدَيْنِ أَفْسَدَ دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ^{٧٧}.

يُرَوَّى أَنَّ قَوْمًا اسْتَوْصُوا أَكْثَمَ بْنَ صَيْفِيٍّ فِي حَرْبٍ أَرَادُوهَا، فَقَالَ: أَقِلُّوا الْخِلَافَ عَلَى أَمْرَائِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ كَثْرَةَ الصِّيَاحِ فِشَلٌ، وَلَا جَمَاعَةَ لِنِ اِخْتَلَفِ^{٧٨}.

عِبَادَ اللَّهِ: أَمَا عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي مَتَى وَجِدَ أَحَدُهَا كَانَ مَدْخَلًا لِلتَّنَازُعِ وَالتَّفَرُّقِ فِيهِ:

٦٧ ((جامع البيان)) 7/77.

٦٨ أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 2586.

٦٩ أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: 722.

٧٠ انظر: ((تفسير العلام شرح عمدة الأحكام))، ص (135).

٧١ أَنْ يُطِيعُوا وَلَوْ آتَرَ عَلَيْهِمْ غَيْرَهُمْ فِي الْحُقُوقِ.

٧٢ أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: 6647.

٧٣ ((تفسير القرطبي)) 5/260.

٧٤ ((سراج الملوک))، ص (177).

أَوْلَا: الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَاتَّبَاعُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ:

قَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا﴾ [الرُّوم: ٣١-٣٢].

أَيُّ: وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَهُمْ، وَغَيَّرُوهُ، فَأَخَذُوا بَعْضَهُ، وَتَرَكُوا بَعْضَهُ تَبِعًا لِأَهْوَائِهِمْ، فَصَارُوا فِرْقًا وَأَحْزَابًا يَتَشَبَّهُونَ لِرُؤُسَائِهِمْ وَأَرَائِهِمْ، يُعِينُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْبَاطِلِ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ مَسْرُورُونَ، يَحْكُمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَلِغَيْرِهِمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ^{٧٥}.

ثَانِيًا: اتِّبَاعُ الشُّبُهَاتِ الْمُهْلِكَةِ، وَالشَّهَوَاتِ الزَّائِلَةِ:

أَمَّا الشُّبُهَاتُ: فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنْ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى أَزِيدَ مِنْ سَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْفِرَقِ فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ مَا كَانَتْ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ.

وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ: فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ قَالَ ﷺ: ((إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ، أَيْ قَوْمِ أَنْتُمْ؟)) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ ﷺ: ((أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ))^{٧٦}.

ثَالِثًا: الْخِلَافُ الْمَبْنِيُّ عَلَى التَّعَصُّبِ، أَوْ الْهَوَى، أَوْ التَّقْلِيدِ، أَوْ الْإِنْحِيَاذِ لِحِزْبٍ أَوْ غَيْرِهِ:

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَلْزِمَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَا تَنَازَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ وَتَفَرَّقَتْ فِيهِ إِنْ أَمَكْنَهُ أَنْ يَفْصَلَ النِّزَاعَ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، وَإِلَّا اسْتَمْسَكَ بِالْجَمَلِ الثَّابِتَةِ بِالنِّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَأَعْرَضَ عَنِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا: فَإِنَّ مَوَاضِعَ التَّفَرُّقِ وَالْإِخْتِلَافِ عَامَّتُهَا تَصْدُرُ عَنِ اتِّبَاعِ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ؛ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى^{٧٧}.

رَابِعًا: الْجَهْلُ: وَهُوَ سَبَبٌ مُخَالَفَةٍ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمَّةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَاقَبَ النَّصَارَى بِالْفِرْقَةِ بِسَبَبِ نِسْيَانِ الْعِلْمِ؛ فَقَالَ ﷺ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤].

أَيُّ: لَمَّا تَرَكَ النَّصَارَى حَظَّهُمْ مِمَّا عَهَدَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْرِي وَنَهْيِي = أَغْرَيْتُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ^{٧٨}.

وَمِنْ هُنَا تَطَهَّرَ أَهْمِيَّةٌ تَلَقَّى الْعِلْمَ عَنِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ؛ فَبِهِمْ يَرْفَعُ الْجَهْلُ، وَتَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ، وَيَطْمَئِنُّ النَّاسُ، وَلَا يَجِدُ الْعَدُوَّ مَسْلُكًا.

٧٥ ((التَّفْسِيرُ الْمُبِينُ)) 1/407.

٧٦ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَّتِهِ، بِرَقْمٍ: 3996، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ، بِرَقْمٍ: 2665.

٧٧ ((مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى)) 12/237.

٧٨ انظُر: ((جَامِعُ الْبَيَانَ)) 10/136.

خامساً: تقديم المصالح الشخصية والأغراض الدنيوية على المصالح العامة:

يقول ﷺ: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» [آل عمران: ١٥٢].

بيان إلهي واضح بأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين، وتنازعهم في الأمر، وعصيانهم أمره، وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً لها على أمر الرسول^{٧٩}.

يقول ﷺ: ((فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ))^{٨٠}.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وجعلني وإياكم من الصالحين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

٧٩ ((أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)) 3/53.

٨٠ متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: 4015، وأخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 2961.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِلُزُومِ تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى أَمْرِهِ، وَالْبُعْدِ عَن مَعْصِيَتِهِ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ التَّفَرُّقَ وَالتَّنَازُعَ مِنْ مَهْلِكَاتِ الْأُمَّمِ، وَلَهُمَا مَضَارٌّ مُؤَثَّرَةٌ عَلَى مَسِيرَةِ الْأُمَّةِ؛ فَمِنْ هَذِهِ الْمَضَارِّ: الْفُشْلُ، وَضَعْفُ الْقُوَّةِ، وَذَهَابُ الرِّيحِ، وَعَدَمُ الْأَلْفَةِ، وَالْهَزِيمَةُ، وَتَسَلُّطُ الْأَعْدَاءِ.

يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].
كَمَا يُؤَدِّي التَّنَازُعُ وَالتَّفَرُّقُ إِلَى الْكُرْهِ وَالبَغْضَاءِ، وَإِلَى إِرَاقَةِ الدَّمَاءِ، وَإِلَى سَخَطِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَإِلَى الْخُسَارَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ: يَحْسُنُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَذْكَرَ الْوَسَائِلَ الْمُؤَدِّيَةَ لِلاتِّفَاقِ وَوَحْدَةِ الصِّفِّ:

((١)) الْإِتِّزَامُ بِالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ: وَهُوَ أَهْمُ تِلْكَ الْوَسَائِلِ؛ فَعَلَيْهَا تَجَمُّعُ الْكَلِمَةِ، وَبِدُونِهَا تَتَفَكَّكُ؛ ذَلِكَ أَنَّهَا عَقِيدَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْجِيلِ الْأَوَّلِ مِنَ الصَّحَابَةِ^{٨١}.

((٢)) التَّخَلُّقُ بِكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الشَّرْعُ عَامِلٌ مُهِمٌّ فِي الْوَحْدَةِ؛ كَالْمَحَبَّةِ، وَالِإِيثَارِ، وَالْعَفْوِ، وَالصَّفْحِ.

يَقُولُ ﷻ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)).

((٣)) الْإِهْتِمَامُ بِالْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ، وَالنُّصْحُ وَقَبُولُ النَّصِيحَةِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالسَّعْيُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ = سَبَبٌ لِلتَّالُفِ وَوَسِيلَةٌ عَظْمَى لِجَمْعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ.

((٤)) الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ التَّثَبُّتُ مِمَّا يُرْوَى، وَالتَّحَرِّيُّ عَمَّا يُقَالُ؛ ذَلِكَ مَنْهَجُ رَبَّانِي نَدَبِ اللَّهِ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَنْتَهَةِ الْحُنَفَاءِ، الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ الْفَارُوقِ، وَذِي النُّورَيْنِ

عُثْمَانَ، وَأَبِي السَّبْطَيْنِ عَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنَّا مَعَهُمْ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ يَا
ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْلِلْ كَلِمَةَ الدِّينِ، وَأَنْصِرْ عِبَادَكَ الْمُؤَحِّدِينَ يَا قَوِيُّ يَا عَزِيزُ يَا رَبَّ
الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءً رِخَاءً؛ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْ وَلِيِّ أَمْرِنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَارْزُقْهُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ
النَّاصِحَةَ، وَجَنِّبْهُ بَطَانَةَ السُّوءِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ.

(٩) السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ فِي زَمَنِ الْفِتَنِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ.

وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَهُدًى لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى؛ فَمَنْ اتَّقَى رَبَّهُ جَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ عُسْرٍ يُسْرًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا؛ قَالَ ﷺ: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا» [الطلاق: ٤].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَبِهِ يَحْصُلُ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ وَسُرُورُهُ، وَطَمَآنِينَةُ الْقَلْبِ وَنُورُهُ.

وَالْمُؤْمِنُ الْمَوْفِقُ عِبَادَةَ اللَّهِ يَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَيَتَّبِعُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَيَشْكُرُ مَوْلَاهُ عَلَى نِعْمَةِ الْهِدَايَةِ وَالْإِصْطِفَاءِ؛ وَبِذَلِكَ يَزْدَادُ تَمَسُّكًا وَثَبَاتًا، وَتَوْفِيقًا وَصَلَاحًا؛ قَالَ ﷺ: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» [النحل: ٥٣].

وَاللَّهُ يَتَّبِعِي عِبَادَهُ لِيُقَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ، يَتَّبِعُهُم بِالْأَمْنِ وَالْخَوْفِ، وَبِالصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَبِالْمَنْحِ وَالْمَحْنِ؛ يَتَّبِعُهُم لِيَتَّبِعِينَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَنَافِقِ، وَالصَّادِقِينَ مِنَ الْكَاذِبِينَ؛ قَالَ ﷺ: «وَنَبَلُّوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» [الأنبياء: ٣٥].

وَفِي زَمَنِ الْإِبْتِلَاءِ وَالْفِتَنِ، وَالتَّفَرُّقِ وَالْمَحْنِ تَتَأَكَّدُ الدَّعْوَةُ إِلَى السَّكِينَةِ وَالتَّرْوِي، وَتَتَعَيَّنُ الْحِكْمَةُ وَالتَّثَبُّتُ وَالتَّنَاطُلُ؛ قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» [الحجرات: ٦].

إِذِ الْعَجَلَةُ مِنْ غَيْرِ تَتَّبِعُ لَا تَأْتِي بِخَيْرٍ، وَلَا تَتَّبِعُ عَنْ حِكْمَةٍ؛ فَهِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ: ((التَّنَائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ))^{٨٢}.

وَالْعَجَلَةُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ عَاقِبَتُهَا النَّدَامَةُ وَالْحُسْرَانُ، وَهِيَ مِنَ أَسْلِحَةِ الشَّيْطَانِ.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه: لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَجْنِي مِنْ ثَمَرَةِ الْعَجَلَةِ النَّدَامَةَ.

^{٨٢} أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ، بِرَقْمٍ: ٤٠٥٨، وَحَسَّنَهُ الْأَبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ، بِرَقْمٍ:

وَالْعَجَلَةُ الْمَذْمُومَةُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ تَسْلُبُ سَكِينَةَ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتَهُ، وَتَشْغَلُ الْفِكْرَ وَرَاحَتَهُ، وَتَهْدِمُ الْمَجْتَمَعَ وَأَمْنَهُ، وَتَدْفَعُ بِالْمَرْءِ إِلَى النَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ، وَتَلْحَقُ بِالْأَبْرِيَاءِ اللَّوْمَ وَالتَّهْمَةَ؛ قَالَ: «إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِأَسْنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» [النور: ١٥].

وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ صُورِ الاسْتَعْجَالِ خَطْرًا، وَأَكْبَرَهَا ضَرَرًا: التَّسْرُعُ فِي تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّعَجُّلُ فِي إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الدِّينِ؛ قَالَ ﷺ: ((وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ = فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا؛ إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ))^{٨٣}.

كَمَا أَنَّ مِنْ صُورِ الاسْتَعْجَالِ الْمَذْمُومِ، وَالتَّهَوُّرِ الْمَقْبُوتِ: التَّسَاهُلُ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَالتَّوَرُّطُ فِي إِزْهَاقِ أَرْوَاحِهِمْ؛ فَالدِّمَاءُ شَأْنُهَا عَظِيمٌ، وَأَمْرُهَا خَطِيرٌ، وَهِيَ أَوَّلُ مَا يَفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ؛ قَالَ: ((أَوَّلُ مَا يَفْضِي بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ))^{٨٤}.

وَدَمُ الْمُسْلِمِ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ؛ قَالَ ﷺ: ((لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ))^{٨٥}.

وَمَنْ تَعَدَّى عَلَى نَفْسٍ مَعْصُومَةٍ وَاحِدَةٍ فَكَأَنَّمَا تَعَدَّى عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ؛ قَالَ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بَغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فُسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة: ٣٢].

وَمَنْ قَتَلَ مُسْلِمًا مُتَعَمِّدًا بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَدْ ارْتَكَبَ جُرْمًا عَظِيمًا، وَبَاءَ بِإِثْمٍ كَبِيرٍ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ، وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْعَذَابِ الْعَظِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالَ ﷺ: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: ٩٣].

وَقَالَ ﷺ: ((لَا يَحِلُّ دَمٌ أَمْرِي يَشْهَدُ إِلَّا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيْبُ الزَّانِي، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ))^{٨٦}.

وَلِحِفْظِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ، وَتَحْقِيقِ الْأَمْنِ فِي الْبِلَادِ مَعَ الْإِسْلَامِ أَسْبَابَ الْقَتْلِ وَالتَّرْوِيعِ، وَالْإِخَافَةَ وَالتَّهْدِيدَ؛ فَجَاءَتْ نُصُوصُ الشَّرِيعَةِ وَاضِحَةً جَلِيَّةً بِتَحْرِيمِ تَرْوِيعِ الْمُسْلِمِ وَتَخْوِيفِهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مَزَاحًا؛ قَالَ ﷺ: ((مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدْعَهَا؛ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ))^{٨٧}.

وَإِنَّ مِنْ الاسْتَعْجَالِ الْمَذْمُومِ أَيُّضًا: التَّصَدُّرُ لِلْفِتْوَى قَبْلَ النُّضُوجِ وَالرُّسُوحِ فِي الْعِلْمِ؛ فَالْفِتْوَى فِي الْإِسْلَامِ لَهَا مَنْزِلَةٌ كَبْرَى، وَمَكَانَةٌ عَظْمَى؛ رَبَّبَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْفَلَاحَ وَالتَّجَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قَالَ ﷺ: «وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [آل عمران: ١٠٤].

وَالْعُلَمَاءُ الْمُفْتُونَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ.

٨٣ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 6104، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 60 .

٨٤ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 1678 .

٨٥ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، بِرَقْمٍ: ١٣٩٥، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ، بِرَقْمٍ: ١٣٩٥ .

٨٦ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 6878، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 1676 .

٨٧ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 2616 .

وَلِخُطُورَةِ الْفَتَوَى، وَعِظَمِ مَكَانَتِهَا كَانَ السَّلْفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَتَهَيَّبُونَ مِنْهَا، وَيَتَوَرَّعُونَ عَنْهَا.

قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَفْتِي فِي الْمَسْأَلَةِ وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَجَمَعَ لَهَا أَهْلَ بَدْرٍ.

وَمِنْ هُنَا كَانَ الْإِفْتَاءُ بِغَيْرِ عِلْمٍ حَرَامًا، وَمِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ؛ قَالَ رضي الله عنه: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [الأعراف: ٣٣].

وَفِي زَمَانِنَا هَذَا ظَهَرَ أَهْلُ أَهْوَاءٍ وَحُدَثَاءُ أَسْنَانٍ؛ فَتَصَدَّرُوا لِلْفَتَوَى وَتَجَاسَرُوا عَلَيْهَا وَهُمْ لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَأَحْلَوْا الْحَرَامَ، وَحَرَّمُوا الْحَلَالَ، وَأَسْتَبَاحُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ، فَكَثُرَ الْهَرْجُ. وَهُوَ الْقَتْلُ. حَيْثُ لَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ فِيْمَ قُتِلَ، وَلَا الْقَاتِلُ فِيْمَ قَتَلَ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ الْمُصْطَفَى .

وَأَنَّ مِنَ الْعَجَلَةِ الْمَذْمُومَةِ وَالْجَهْلِ بِسُنَنِ اللَّهِ الْمَعْلُومَةِ: اسْتِعْجَالَ النَّصْرِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنْ أَسْبَابِهِ.

فَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَجْعَلُهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ قَالَ رضي الله عنه: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [الأنفال: ١٠].

ثُمَّ إِنَّ الْعَجَلَةَ وَالتَّسْرُعَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْآخِرِينَ، وَعَدَمَ التَّرْوِيَّ وَالتَّثَبُّتَ = يُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافِ الْمُسْلِمِينَ وَتَفَرُّقِهِمْ، وَقَدْ يُفْضِي إِلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَإِزْهَاقِ أَرْوَاحِ الْأَبْرِيَاءِ؛ قَالَ رضي الله عنه: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا» [البقرة: ٢٥٣].

فَإِذَا اخْتَلَفُوا تَفَرَّقُوا وَتَشَتَّتُوا، وَوَقَعَ فِيهِمُ الضَّعْفُ وَالْهَوَانُ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَشَتَّتَتْ شَمْلَهُمْ، وَفَرَّقَتْ جَمْعَهُمْ، فَقَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَسَبَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ قَالَ رضي الله عنه: ((إِنَّ اللَّهَ زَوْي لِي الْأَرْضِ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنْ أُمَّتِي سَيَبُلُغُ مَلِكُهَا مَا زَوْي لِي مِنْهَا، وَأَعْطَيْتُ الْكَنْزِينَ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَلَا يُهْلِكُهَا بِسُنَّةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَا يَسْلُطُ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ، وَإِنْ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَا أَهْلِكُهُمْ بِسُنَّةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَا أَسْلُطُ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا. أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا. حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))^{٨٨}.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ عِلَاجَ الاسْتِعْجَالِ يَكُونُ بِالرُّجُوعِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وَسُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي النِّوَازِلِ وَالْفِتَنِ؛ قَالَ رضي الله عنه: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» [النساء: ٨٣].

وَيَكُونُ أَيْضًا بِالتَّوَدُّةِ وَالْإِطْمِئْنَانِ، وَبِالسَّكِينَةِ وَالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ، وَبِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، وَعَدَمِ النَّفَرْدِ بِالرَّأْيِ؛ قَالَ رضي الله عنه: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» [الأحقاف: ٣٥].

كَمَا أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِالْآخِرِينَ، وَعَدَمَ الْخَوْصِ فِي نِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ = طَرِيقٌ لِلتَّخْلِصِ مِنَ الاسْتِعْجَالِ

الْمَذْمُومِ، وَالتَّسْرُعِ الْمَمْقُوتِ؛ قَالَ ﷺ: ((يَأْكُمُ وَالظَّنُّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ))^{٨٩}.

وَبَعْدُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فَلَا عِزَّ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ، وَلَا فَوْزَ وَلَا نَجَاحَ إِلَّا بِالثَّبَاتِ عَلَى أَحْكَامِ الشَّرْعِ الْمُبِينِ، وَلَا نَصَرَ وَلَا تَمَكِينَ إِلَّا بِالرُّجُوعِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ، وَالنُّبُودِ عَنِ مَثِيرَاتِ الْفِتَنِ، وَالمَبَاعَدَةِ عَنِ أَهْلِهَا وَمَوَاطِنِهَا.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].
بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِحَاقِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

عِبَادَ اللَّهِ: يَنْشَأُ عَنِ الْاِسْتِعْجَالِ بَدُونِ تَثَبُّتٍ، وَعَنِ الْحُكْمِ عَلَى الْآخَرِينَ مِنْ غَيْرِ تَرَوُّ = فَتَنٌ عَظْمَى، وَمَحَنٌ كَبِيرٌ اِكْتَوَى بِنَارِهَا الْعِبَادُ، وَأَصْطَلَتْ بِشَرِّهَا الْبِلَادُ، سَبَبُهَا الْأَنْجِرَافُ وَالْفَسَادُ، وَالضَّلَالُ وَالْإِفْسَادُ؛ فَكَانَ لِرِزَامًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ، وَتَبَدُّلِ الطَّبَاعِ، وَظُهُورِ الْفِتَنِ وَالْأَهْوَالِ = الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْبَعْدُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛ قَالَ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَزَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَلَجَأَ إِلَى رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَإِنَّ مِنَ الْفَهْمِ السَّدِيدِ وَالرَّأْيِ الرَّشِيدِ أَنْ يَحْفَظَ الْمُسْلِمُ لِسَانَهُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْفِتَنِ، وَيَكْفَى نَفْسَهُ عَنِ الدُّخُولِ فِيهَا لَا يَعْينُهُ؛ إِذِ الْعَافِيَةُ أَعَزُّ مَطْلُوبٍ، وَالْبَلَاءُ أَعْظَمُ مَرْهُوبٍ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

وَلَا يَتَحَقَّقُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْبُعْدِ عَنِ الْفِتَنِ وَالْكَرْبِ؛ قَالَ ﷺ: ((إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَتَنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)).^١

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عِبَادَ اللَّهِ عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ فَقَدِ أَمَرَكُمُ الْمَوْلَى بِذَلِكَ فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّينِ، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا رِخَاءً، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إِمَامَنَا لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْ جَمِيعَ وُلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ

وَتَحْكِيمِ شَرَعِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ مَا قَسَمْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ صِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ وَسَعَةِ رِزْقٍ فَكَتَبْ لَنَا مِنْهُ أَوْفَرَ الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ، وَمَا أَنْزَلَ فِيهَا مِنْ شَرٍّ وَبَلَاءٍ وَفِتْنَةٍ فَاصْرِفْهُ عَنَّا وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْصِرْهُمْ عَلَى الْعُدُوِّ يَا قَوِيَّ يَا عَظِيمُ يَا عَزِيزُ.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَأَشْكُرُوهُ عَلَى آلَاتِهِ وَنِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

(١٠) حَتْمِيَّةُ انْتِصَارِ الدِّينِ

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، عَزَّ جَارُهُ، وَجَلَّ تَأَوُّهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ.

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَاصِرُ دِينِهِ، وَمُعَلِّ كَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بِذَلِكَ حَيَاتِهِ جِهَادًا حَتَّى آتَاهُ النَّصْرُ الْمُبِينُ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْوَصَايَا الْوَصِيَّةَ بِتَقْوَى رَبِّ الْبَرَايَا؛ فَاتَّقُوهُ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عِبَادَ اللَّهِ: بِشَارَاتِ الرَّسُولِ بِالنَّصْرِ كَانَتْ فِي أَوْقَاتِ الْأَزْمَاتِ وَالشَّدَائِدِ.

يُبَشِّرُ بِالنَّصْرِ فِي أَرْزَمَةٍ وَصَفَّهَا اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وَرَسُولِ اللَّهِ يَنْفَعَالُ وَيُبَشِّرُ.

إِنَّ فَجْرَ الْإِسْلَامِ قَادِمٌ لَا مَحَالَةَ، مُشْرِقٌ كَأَشْرَاقِ شَمْسِ الصَّبَاحِ، وَكَبْرُوغِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ مَهْمَا عَلَا فَالْنَهْيَةَ لِلْحَقِّ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ نُصُوصَ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ دَلَّتْ عَلَى حَتْمِيَّةِ انْتِصَارِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ؛ فَأَمَلُوا خَيْرًا، وَاسْتَبَشِرُوا، وَلَا تَيَاسُؤُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ.

وَسَنَقِفُ فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى مَا بَشَّرَنَا اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَنُصُوصِ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ:

البَّشَارَةُ الْأُولَى: بِشَارَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ بَعْلَبَةِ الدِّينِ وَظُهُورِهِ؛ قَالَ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنْمِ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الأنفال: ٨-٩].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ

يُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ؛ أَي: مَا بَعَثَ بِهِ رَسُولُهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ بِمَجَرَّدِ جِدَالِهِمْ وَأَفْتِرَائِهِمْ؛ فَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَاثِلٍ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شِعَاعَ الشَّمْسِ، أَوْ نُورَ الْقَمَرِ بِنَفْخِهِ، وَهَذَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ وَيُظْهَرَ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُقَابِلًا لَهُمْ فِيمَا رَامُوهُ وَأَرَادُوهُ: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] ٩١.

الْبِشَارَةُ الثَّانِيَةُ: ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مِنْ سُنَّتِهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ يَنْصَرَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا بِنُصْرَةِ دِينِهِ وَسَعَوْا لِذَلِكَ؛ قَالَ ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].
فَالْآيَةُ تُدَلُّ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ سَبَبٌ لِلْقُوَّةِ، وَالْإِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، وَنَفَاذِ الْكَلِمَةِ ٩٢.

الْبِشَارَةُ الثَّلَاثَةُ: وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ فِي أَكْثَرِ مَنْ مَوْضِعٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: قَالَ ﷺ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].
وَقَالَ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَمَنَّا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].
وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصَّافَّات: ١٧١-١٧٣].

الْبِشَارَةُ الرَّابِعَةُ: أَشَارَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى ضَعْفِ كَيْدِ الْكَافِرِينَ، وَأَنَّ سَعْيَهُمْ وَبِالٍ عَلَيْهِمْ وَحَسْرَةٌ، وَأَنَّهُمْ مَغْلُوبُونَ خَائِبُونَ.
قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].
قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَتُغْلَبُونَ فِي الدُّنْيَا، وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَقَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا خَبَرٌ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَخْوِيفٌ لِلْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ لَا بُدَّ أَنْ يُغْلَبُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ٩٣.

الْبِشَارَةُ الْخَامِسَةُ: عَنِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ﷺ: ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ؛ بَعْزَ عَزِيزٍ، أَوْ بَدَلَ ذَلِيلٍ،
(تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) 4/136 ٩١
انظر: ((أَضْوَاءُ الْبَيَانِ فِي إِضْحَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ)) ٥٥٣/٥ ٩٢
((تَفْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ))، ص (٩٦٣). ٩٣
أَي: الْمَدَنَ، وَالْقُرَى، وَالْبَوَادِي؛ وَهُوَ مِنْ وَبَرَ الْإِبِلِ؛ أَي: شَعَرَهَا لِأَنَّهَا كَانُوا يَتَّخِذُونَ مِنْهُ وَمِنْ نَحْوِهِ ٩٤
خِيَامَهُمْ غَالِبًا، وَالْمَدْرُ جَمْعُ مَدْرَةٍ؛ وَهِيَ اللَّبْنَةُ. (مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاتِ الْمَصَابِيحِ) 1/116.

عَزَا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذَلَّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ))^{٩٥}.

الْبِشَارَةُ السَّادِسَةُ: حَدِيثٌ يُبَشِّرُ بِبَقَاءِ الْإِصْلَاحِ، وَالِدَّعْوَةِ، وَالْعِلْمِ وَالْتَّعْلِيمِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ^{٩٦}؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))^{٩٧}.

الْبِشَارَةُ السَّابِعَةُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِالرَّفْعَةِ وَالظُّهُورِ عَلَى الْأَدْيَانِ وَهُمْ فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الضَّعْفِ، وَأَعْدَاؤُهُمْ مُتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ: ((بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالنُّصْرِ، وَالتَّمَكِينِ))^{٩٨}. وَالْمُرَادُ: بَشِّرْهُمْ بِأَنْ يَتَّبِعُوا عَلَى هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهُ اللَّهُ إِلَّا قُوَّةً، وَإِنَّهُ يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؛ كَمَا وَقَعَ ذَلِكَ^{٩٩}.

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي؛ فَإِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ بِي شَرًّا فَلَهُ))^{١٠٠}. بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

٩٥ أخرجه أحمد في مسنده، برقم: ١٦٩٥٧، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم، ٢٨ / ١٥٥.

٩٦ انظر: ((مجموع فتاوى ابن باز)) ١٠٣/٢٥.

٩٧ أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: 1920.

٩٨ أخرجه أحمد في مسنده، برقم: 21222، وحسنه شعيب الأرنؤوط، ٣٥ / ١٤٦.

٩٩ انظر: ((التتوير شرح الجامع الصغير)) ٥٤٦/٤.

١٠٠ أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: ٦٣٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: ٤٣١٥.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِشَرِّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ؛ فَقَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ: أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَهِيَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوْلِيَيْنِ وَالْآخِرِينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

عِبَادَ اللَّهِ: عَنْ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ قِيلَ: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ ﷺ: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلِكُمْ يُحْضِرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيَشُقُّ بَاتْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمِشُطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لِحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّيَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))^{١١}.

أَيُّ: وَاللَّهُ لَيَكْمَلَنَّ اللَّهُ سُلْطَانَ هَذَا الدِّينِ بِنَصْرِهِ، وَإِظْهَارِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَتَقْوِيَةِ شَوْكَتِهِ، وَبَسْطِ نُفُوذِهِ؛ فَتَطْبِقَ أَحْكَامَهُ، فَيَنْتَشِرُ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ فِي الْأَرْضِ بِبِرْكَةِ تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الْبَعِيدَةَ الْمُوحِشَةَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا لَا يَخْشَى لَصًا، وَلَا يَخَافُ قَاطِعَ طَرِيقٍ.

فَفِي الْحَدِيثِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ بِاسْتِثْبَابِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ كَنَتِجَةِ حَتْمِيَّةِ لُظْهُورِ الْإِسْلَامِ، وَالْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَقَدْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ فِي آخِرِ عَهْدِ الرَّسُولِ، وَعَهْدِ صَاحِبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^{١٢}.

كَمَا أَنَّ الْحَدِيثَ أَشَارَ إِلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْوُصُولِ إِلَى النَّصْرِ: أَلَا وَهُوَ الصَّبْرُ.

نَعَمْ؛ إِنَّهُ الصَّبْرُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَسْتَعْجِلُوا؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَدَ قَاسُوا الْأَهْوَالَ وَالشَّدَائِدَ فَصَبَرُوا، فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ.

فَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ الصَّبْرِ عَلَى أَذِيَّةِ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا صَبَرَ الْإِنْسَانُ ظَفَرَ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُقَابِلَ مَا يَحْصُلُ مِنْ أَذِيَّةِ الْكُفَّارِ بِالصَّبْرِ وَالْإِحْتِسَابِ وَأَنْتَظِرَ الْفَرَجَ، وَلَا يَظُنَّ أَنَّ الْأَمْرَ يَنْتَهِي بِسُرْعَةٍ وَبِسَهُولَةٍ؛ فَقَدْ يَبْتَلِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكَفَّارِ يُوَدُّونَهُمْ، وَرَبِّمَا يَقْتُلُونَهُمْ كَمَا قَتَلَ الْيَهُودَ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ مِنَ الدَّعَاةِ، وَأَعْظَمُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيَصْبِرِ الْمُؤْمِنُ، وَلْيَنْتَظِرِ الْفَرَجَ، وَلَا يَمَلْ وَلَا يَضْجِرْ، بَلْ لِيَبْقَ رَأْسِيًّا كَالصَّخْرَةِ، وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُنْتَقِينَ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ^{١٣}.

يَقُولُ ﷺ: ((وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))^{١٤}.

- | | |
|-----|---|
| ١٠١ | أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَبِيحِهِ، بِرَقْمٍ: 6943. |
| ١٠٢ | ((مَنَارُ الْقَارِي شَرْحُ مَخْتَصَرِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ)) 4/249. |
| ١٠٣ | انظر: ((عَمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ)) ١٦/١٤٥، وَ((شَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ)) ١/٢٥٢. |
| ١٠٤ | أَخْرَجَهُ أَبُو عَاصِمٍ فِي ((السَّنَةِ))، بِرَقْمٍ: ٣١٥، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، ١/١٣٧. |

ثُمَّ صَلُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْأَثَمَةِ الْحَنْفَاءِ، الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ الْفَارُوقِ، وَذِي النُّورَيْنِ عُمَانَ، وَأَبِي السَّبْطَيْنِ عَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنَّا مَعَهُمْ بِمَنَّاكَ وَكَرَمِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْلِلْ كَلِمَةَ الدِّينِ، وَأَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُؤَحِّدِينَ يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رَحَاءً؛ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَارْزُقْهُ الْبِطَانَةَ الصَّالِحَةَ النَّاصِحَةَ، وَجَنِّبْهُ بَطَانَةَ السُّوءِ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

صفحة

فهرس الخطب

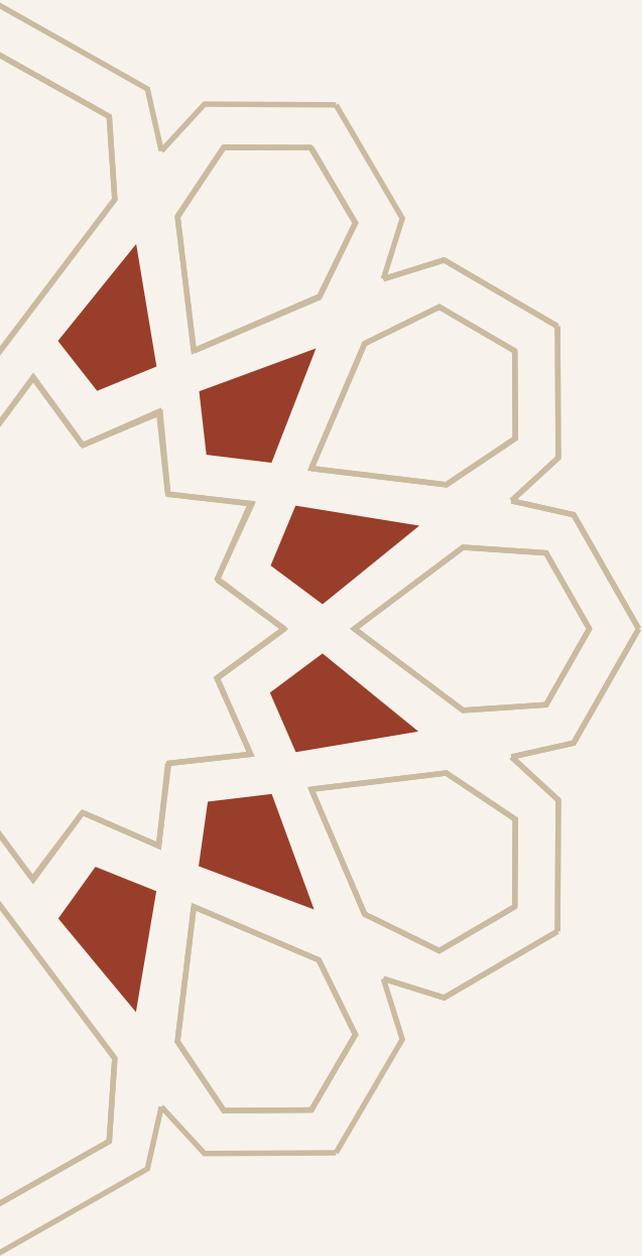
٥	تقديم معالي رئيس جامعة الملك فيصل.
٧-٦	المقدمة (فريق العمل)
١٢-٨	الخطبة الأولى: موقف المسلم من الجماعات والحزبيات.
١٨-١٣	الخطبة الثانية: موقف المسلم في الفتن.
٢٣-١٩	الخطبة الثالثة: كيف تحصن نفسك من الأفكار المنحرفة.
٢٨-٢٤	الخطبة الرابعة: تحصين الشباب من التكفير.
٣٢-٢٩	الخطبة الخامسة: تحصين الشباب من الفكر الضال في وسائل التواصل الاجتماعي.
٣٧-٣٣	الخطبة السادسة: أهمية التمسك بمنهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة.
٤٣-٣٨	الخطبة السابعة: أهمية البناء الفكري المعتدل.
٤٩-٤٤	الخطبة الثامنة: النزاعات والاختلاف سبب الفرقة وتسلب الأعداء.
٥٥-٥٠	الخطبة التاسعة: السكينة السكينة في زمن الفتن.
٦٠-٥٦	الخطبة العاشرة: حتمية انتصار الدين.



خطب المنبر الفكرية

خطب فكرية مخصصة لتبصير المجتمع
وتحصينه من الشبهات والأفكار الضالة





إشراف

وحدة التوعية الفكرية بجامعة الملك فيصل

تقديم

معالي رئيس جامعة الملك فيصل
محمد بن عبدالعزيز العوهلي



خطب المنبر الفكرية

خطب فكرية مخصصة لتبصير المجتمع
وتحصينه من الشبهات والأفكار الضالة

وحدة
التوعية الفكرية
Unit of intellectual consciousness

